العلمانيون وموقفهم من

تفسير القرآن الكريـــم

" نماذج من انحرافاتهم فى تفسير القرآن الكريم ، والرد عليها "

دكتور/ محمود محمد محمود غطاس
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
بالقاهرة – قسم التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين.

وبعد..

" بين يدى البحث"

هذا بحث عن العلمانيين وموقفهم من تفسير القرآن الكريم، ومن المعلوم أنه ليس ثمة آصرة تربط العلمانيين بالقرآن الكريم، سواء كان ذلك عن طريق الإيمان والاعتقاد، وهذا ينطبق على العلمانية الغربية؛ لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بشئ، أو كان ذلك عن قناعة بهدايته وإرشاده، وهذا ينسحب على العلمانية الشرقية والعربية؛ لأنهم لم يرتضوا القرآن منهجا لحياتهم، وآدابا فى سلوكهم ومعاملاتهم، إنطلاقا من عقيدة راسخة عندهم بأن الإسلام لا يعدو أن يكون مجموعة من العقائد والعبادات والشعائر[1]. تنظمها علاقة خاصة بين العبد وربه. ومن ثم لا يصلح أن يكون أساسا لبناء مجتمع إنسانى فاضل، يساير العصر، فضلا عن أن يكون منهج حياة أمثل. ومن هنا يبدو غريبا أن يهتم العلمانيون بتفسير القرآن، ويولوه هذه العناية والرعاية، وهذا الكلف الشديد-وهذا حالهم- ولكن تتزايل غرابتنا، ويتلاشى عجبنا إذا علمنا، أن هذا ليس من لواعج الشوق وأمارات الحب فى شئ، وإنما هى بوادر الكراهية ونوازع الحقد، ودلائل المكائد والحيل والتربص والالتفاف حول القرآن؛ للنيل منه، والطعن فيه، والسبح فى مجراه لتعكير صفوه على الشاربين.

وهذا بدوره يدفعنى إلى توضيح الخطة التى سرت عليها فى معالجة هذا الموضوع.

١- هذا المفهوم "المغلوط" بعينه يعرفه الغربيون عن الإسلام، ولا يعرفون سواه، ومن ثم يظنون أن الإسلام نحلة. أنظر: الحروب فى اليهودية والنصرانية والإسلام من خلال القرآن الكريم للمؤلف ص٥٨، ٥٩.

خطة البحث

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وفصلين، ثم خاتمة وقد ضمنتها نتائج البحث وتوصياته، ثم جريدة المصادر والمراجع.

أما المقدمة، فقد تحدثت فيها عن أهمية هذا الموضوع وخطره، ثم أوضحت محاولات العلمانيين الدائبة والمستميتة، فى العصر الراهن، فى تشويه صورة علماء المسلمين أمام الرأى العام، والطعن عليهم، إلى جانب حملتهم على الإسلام، وعلى الأخص على القرآن الكريم، كل ذلك سواء بسواء وأما الفصل الأول، وعنوانه: "أعداء المنهج الإسلامى بين الأمس واليوم" فقد قسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العلمانية فى اللغة والاصطلاح.

المبحث الثانى: سلف العلمانيين فى الطعن على القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أساليب العلمانيين فى الطعن على القرآن الكريم.

المبحث الرابع: بعض العلمانيين "من الصحفيين" يفسر آية النساء (آية ٣) فى حكم تعدد الزوجات، ومناقشته والرد عليه وأما الفصل الثانى، وعنوان: "عرض ومناقشة نماذج من كتاب: سلطة النص" قراءات فى توظيف النص الدينى" تأليف الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن: فقد قسمته إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: المنهج العام الذى استند إليه المؤلف، ثم سلكه فى تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثانى: المنهج التفصيلى الخاص للمؤلف، ومناقشته والرد عليه.

المبحث الثالث: مثال تطبيقى للمؤلف من تفسيره لبعض الآيات القرآنية والرد عليه.

المبحث الرابع: التفسير الصحيح لهذه الآيات بعينها عند علماء التفسير لكشف انحرافه.

المبحث الخامس: موقفه من القصة القرآنية، والرد عليه.

المبحث السادس: جهود علماء المسلمين فى الرد على أصحاب التيارات المنحرفة، والاتجاهات الفاسدة.

ثم الخاتمة، وقد تضمنت نتائج البحث وتوصياته.

المقدمة

وبعد فهذا بحث هام وضرورى، وقد اكتسب أهميته من شرف موضوعه؛ لأنه يتعلق بالقرآن الكريم. كتاب العربية الأكبر- كما يقول أمين الخولى[١].

وكم كنت أتمنى أن يتمحض هذا البحث للكشف عن جانب من جوانب عظمة هذا القرآن الكريم وجلاله، أو يتفرغ على درس موضوع من موضوعاته الهامة، سواء فى العقيدة أو فى العبادات والمعاملات أو الأخلاق أو غيرها فى ثوب جديد، وبآليات العصر، ولغته، ومفرداته وبمنظوره. أو أقفه على إبراز بعض وجوه إعجازه..

ولكنى شغلت عن ذلك كله وغيره، بمتابعة هذا المخطط العلمانى المدروس والمحكم، والذى يستهدف مبنى القرآن الكريم ومعناه، ونصوصه وفحواه، بل ويفتئت على مرجعية القرآن نفسها، ويصمها بالبشرية، ليتسنى لهم إخضاع النص القرآنى لمقاييس النقد الأدبى!!

وكنا نحسب أن الله تعالى قد أراحنا من الشيوعية المادية الملحدة؛ بأن أطفأ نارها، وأخمد جذوتها، حتى تهاوت إلى غير رجعة، إلى مكان سحيق. فانهال عليها ركام الإهمال، وطواها رداء النسيان بين تضاعيفه وثناياه فإذا بنا نرى أن الله تعالى قد ابتلانا مرة أخرى بإفرازات هذه الشيوعية وذيولها، متمثلة فى هؤلاء العلمانيين، الذين انحدروا علينا من حدب وصوب ينسلون. وطفقوا يشككون فى الثوابت القطعية، التى لا تحتمل إلا تأويلا واحدا، ويثيرون الشبه القديمة التى وئدت فى مهدها، ويتسقطون الأقوال الشاذة والضعيفة، ومرجعيتهم الكبرى فى كل هذا وغيره، هى دعاوى بعض المستشرقين وشبهاتهم، والتى ليس لها سناد من الحقيقة، ولا تقوى على معارضة النصوص الصريحة والقطعية..

وبمناسبة ما نادى به السيد/ رئيس الجمهورية من حتمية تجديد الخطاب الدينى، حتى يساير العصر، ويبرز للعالم أجمع الصورة المثلى والحقيقية للإسلام، بما تحمل هذه الصورة من مقومات عالمية هذا الدين، ومدى تناغمها مع قضايا العصر وأطروحاته، خاصة والقضايا العصرية المطروحة على الساحة الدولية الآن، باتت تبحث لها عن حلول فلا تجدها. فإذا قدم الدين الإسلامى كحل لهذه القضايا أو لبعضها فى ثوبه القديم، بأزياء القرن السابع أو الثامن الهجرى -مثلا- وبلغاته، وأساليبه،

١- التفسير- نشأته- تدرجه- تطوره. بقلم: أمين الخولى (دار الكتاب اللبنانى- بيروت- ط أولى سنة ١٩٨٢م) ص٧٥.

وأفكاره، وقضايا، فربما لا تكون بعض هذه الحلول ناجعة- فيما لا يتعلق بمصادر التشريع المعتمدة، والمجمع عليها- إذا سلمنا بأن هذا الخطاب الدينى ليس خاصا بأهل القرون الأولى وحدهم، كما أنه أيضا ليس خاصا بنا وحدنا؛ ولكنه عام يتناول السابقين واللاحقين على السواء. وعلى وجه الخصوص، بعد أن تغيرت صورة بعض المسلمين فى المشرق والمغرب، وأصبحت لا تعبر عن الإسلام فى شئ!! بل إن لفظ الإرهاب صار يطلرد لفظى الإسلام والمسلمين فى الغرب وعلى الأخص فى الوقت الراهن؛ وذلك بسبب مؤسسة الدعاية الإعلامية للصهيونية العالمية النشطة، والتى لا تهدأ، وفى المقابل لا نكاد نجد من يعرف بالإسلام فى الغرب ويؤسس له، وهذا بطبيعة الحال يصادم الفكر الدعوى للإسلام، الذى يوازى ما يقارب ثلثى عمر الدعوة فى حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- والتى تمثل العهد المكى كله، وبعض العهد المدنى ونقصد بذلك الفترة التى تمحضت للدعوة إلى الإسلام، قبل أن يشرع القتال وإلا فإن مشروعية الدعوة لم تتوقف، ولن تتوقف؛ لأنها محكمة لم يرد ما ينسخها. وإن تحقيق هذا الهدف يحتاج منا إلى ثراء، دونه المال، وإنشاء المؤسسات الإعلامية الضخمة فى الغرب، وتشغيلها بالعناصر الممتازة والرائدة، التى تستطيع أن تقوم بهذا الدور وتضطلع به؛ لأن كثيرا من القيم والمفاهيم بل والتشريعات التى انطوى عليها الإسلام وكتابه القرآن الكريم، لا يحويها أى تشريع آخر فى العالم كله، سواء كانت أرضية أو سماوية، ولكنها ما زالت حجرا محجورا علينا وحسب، ولم يتح لها بعد أن تعرض على العالم فى إطارها الصحيح، ولو تسنى لها ذلك أو بعضه -على الأقل- لتغير الشكل والمضمون.

ومن ذلك أن الله تعالى جعل مهد الدعوة -وهى مكة الحرام- حرما آمنا، ويتخطف الناس من حولهم، وأمن كل من فيها، وما فيها من إنسان وحيوان وطير وشجر، وقل: مثل ذلك فى المدينة المنورة -خلافا لأبى حنيفة[1]- بل إن الله تعالى ذكر المؤمنين بنعمته عليهم، ببعثة الرسول-صلى الله عليه وسلم- التى كانت سببا فى إطفاء نار الحروب، التى كانت مستعرة بينهم أمدا بعيدا. قال تعالى: (واذكروا نعمت الله عليكم

١- انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد تأليف: محمد بن عبد الله الزركشى تحقيق/ أبو الوفا مصطفى المراغى (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامى- القاهرة- الطبعة الخامسة سنة ١٤٢٠هـ- سنة ١٩٩٩م، ص٢٤٣.

إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)[1]. وما ذلك إلا لأن الإسلام هو دين الحضارة الأعظم، التى تقوم على الأمن فى داخلها والسلام فى خارجها. قال تعالى-ممتنا على قريش-: (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[2]. ولأن الإسلام دين عالمى لكل البشر- عكس الأديان الأخرى فهى محلية، والنحل فهى أرضية إقليمية- فهو يحافظ على الإنسان أيا كانت جنسيته أو معتقده، سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا أو من أى ملة كانت، بل إنه يؤمن العبادة والعباد ودور العبادة، ويكفل المحافظة على العمران فى سلمه وحربه ويكرم الإنسان: "ولقد كرمنا بنى آدم"[3]. فلا يبيح دمه تحت أى سبب-إلا بسبب مشروع- ويقيم الدنيا كلها ولا يقعدها إذا قتل إنسان ظلما، أى إنسان، قال تعالى: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)[4].

وما ذلك إلا لأن الإنسان بنيان الله فلعن الله من هدم بنيان الله، حتى لو كان مشركا، قال تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)[5].

فى منظومة من القيم الخلقية العليا الرفيعة، التى لم تخطر للإنسانية قط من قبل على بال. ومن ثم كان الإسلام حربا على الإرهاب بكل مفرداته، وعلى كل من يتجلبب به، وله أدواته ووسائله وأساليبه فى دفعه وعلاجه.. والذى يضطلع بكل هذا هم العلماء، فهم لسان الدعوة وأداتها، وهم المبلغون عن الله بعد وراثتهم للأنبياء.

وقاموا وما زالوا يقومون بهذا الدور المنوط بهم، عبر وسائل الإعلام المختلفة، وغيرها بكفاءة عالية الجناب منقطعة النظير، تشفى وتقنع وترضى قدر الإمكان. ولكن للأسف الشديد طلع علينا بعض الصحفيين من العلمانيين (بمقال)[6] يشنع فيه على علماء المسلمين تخاذلهم وتقاصرهم فى محاربة الإرهاب، بل وحكم عليهم بأنهم المحرضون عليه

١- آل عمران آية: ١٠٣.
٢- قريش آية ٤.
٣- الإسراء آية: ٧٠.
٤- المائدة آية ٣٢.
٥- التوبة آية: ٦
٦- فى جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٢/١/١٦م. تحت عنوان: تجديد الخطاب الدينى.. نعم.

والداعون له، وفيه أيضا نفث كل ما فى صدره على علماء الأمة على سواء، ورماهم بأقذع مما رمى به الخطيئة خصومة وغرماءه، ولكن كان كحاطب بليل، لا يفرق بين الغث والسمين، ولا يميز الدر من الحصى، وكأن علماء المسلمين هم الذين شوهوا صورة الإسلام فى الغرب، وليس هذا وأمثاله. وهذا يدعونى إلى أن أكرر الدعوة التى نادى بها الدكتور/ محمد البهى إذ يقول: إذا كان من دواعى استقرار الحكم الوطنى فى مصر الحديثة الثائرة، عزل عملاء السياسة وإبعادهم عن الحياة السياسية؛ فإن من صالح قيادة الأمة، كشعب موحد الاتجاه، قوى فى أحاسيسه المشتركة، أن ينجى عملاء التبشير والاستشراق من جوانب التوجيه العام، سواء فى التثقيف، أو النشر، أو الصحافة أو الإذاعة"[١].

الفصل الأول: وعنوانه: أعداء المنهج الإسلامى بين الأمس واليوم
وتحته مباحث: المبحث الأول: تعريف العلمانية فى اللغة والاصطلاح

تعريف العلمانية فى اللغة: جاء فى المعجم الوسيط: العلمانى: نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى. أهـ[٢].

تعريف العلمانية فى الاصطلاح: يقول أنور الجندى: ما يزال مصطلح العلمانية من المصطلحات التى اختلف فيها الرأى؛ لأنه مصطلح وافد سئ الترجمة، مشتق من العلم أو العالم (Secaurism بالإنجليزية Laique) وهذان النصان يلتقيان عند معنى واحد، وهو اللادينية، ومعناها: عزل الدين عن الحياة، والاحتكام إلى نظريات علمية، ونظم وضعية"[٣].

ولكن جاء فى الموسوعة الإسلامية العامة، يقول الدكتور/ محمد عمارة: العلمانية: مصطلح ترجم بمصر والمشرق العربى للكلمة الإنجليزية: SECUL) (ARISM بمعنى: الدنيوى والواقعى والعالمى.. ذلك؛ لأن العلمانية هى: نزعة فلسفية وفكرية وسياسية واجتماعية، ترى العالم مكتفيا بذاته، تدبره الاسباب الذاتية المودعة فيه.. فالعلمانية لذلك تضبط بفتح العين؛

١- أنظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى تأليف الدكتور/ محمد البهى (دار المعارف- القاهرة- ط عاشرة- سنة ١٩٩١م) ص ٥١٩.
٢- المعجم الوسيط (مجمع اللغةالعربية- القاهرة- ط ثالثة- بدون) ٦٤٧/٢.
٣- انظر: نحو بناء منهج البدائل الإسلامية تأليف: أنور الجندى (دار الاعتصام، القاهرة، سنة ١٩٨٩م) ص ٢٦٩.

لأنها نسبة إلى العالم، وهناك فى المغرب العربى من يترجمها بالدنيوية"[١].

المبحث الثانى: سلف العلمانيين فى الطعن على القرآن الكريم

لقد تعرض القرآن الكريم لحملات مسعورة قديما وحديثا من فئات ضالة ومنحرفة ومارقة، لكل جانب من جوانب القرآن، لا يتسع هذا البحث لتعدادها، وتفصيل القول فيها. ويكفى أن نشير إلى من اتهموا القرآن بالتحريف زيادة ونقصا، وهم طوائف من الشيعة، ومن أرادوا معارضته- إن صحت الرواية عنهم- وهم: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسى وابن المقفع وابن الراوندى، الذى وضع كتابا اسمه "الدامغ" يقول عنه مصطفى صادق الرافعى: إنه وضعه لابن لاوى اليهودى، وطعن فيه على نظم القرآن، وقد نقضه عليه الخياط وأبو على الجبائى، قالوا: ونقضه على نفسه، وغير هؤلاء كثير[٢]. كل أولئك وغيرهم سلف لهؤلاء العلمانيين، سلف طالح، أوقدوا نارا للحرب على كتاب الله، لم ينطفئ أوارها ولم تخمد جذوتها منذ أشعلت، بل زادت ضراما بمقدار ما زاد من الشر فى أرض الله. ولقد ذاق منهم ابن قتيبة مرارة الجحود والنكران لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع كتابين- من أنفس ما جادت به الأقلام- أحدهما وهو: تأويل مشكل القرآن" ينافح فيه عن كتاب ربه. وأما الثانى وهو: تأويل مختلف الحديث" يزيل فيه ما يكون موضعا لشبهة معطل أو مشبه أو ملحد، دفاعا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان ابن قتيبة قد حمل على المتفيهقين فى عصره- ضمن من حمل- يقول: ومع روايتهم كل سخافة تبعث على الإسلام الطاغيين، وتضحك منه الملحدين، وتزهد من الدخول فيه المرتادين وتزيد فى شكوك المرتابين"[٣]. فإنه انبرى أيضا يدفع عن الحديث وأصحاب الحديث غائلة الطعن فيقول: هذا ما حكيت من طعنهم على أصحاب

١- الموسوعة الإسلامية العامة العامة بإشراف الدكتور/ محمود حمدى زقزوق (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، سنة ١٤٢٢هـ- سنة ٢٠٠١م) ص ٩٩١.
٢- راجع فى كل هؤلاء تاريخ آداب العرب تأليف مصطفى صادق الرافعى ج١٧١/٢ وما بعدها، دلائل الإعجاز للجرجانى (ط دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٢هـ سنة ١٩٨٢م) ص٢٩٧، إعجاز القرآن للباقلانى ص١٩٩، ٢٠٠، وغير هذا كثير.
٣- تأويل مختلف الحديث تأليف: أبى محمد عبد بن مسلم بن قتيبة (مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- بدون)، ص٨.

الحديث، وشكوت تطاول الأمر بهم على ذلك، من غير أن ينضح عنهم ناضح، ويحتج لهذه الأحاديث محتج.."[١]. وقد حذا حذوه ابن فورك في كتابه: "مشكل الحديث وبيانه"[٢]. ثم نرى ابن قتيبة مرة أخرى، وكأنه يحمل سيفين، ويقاتل في جبهتين، فسيف مضى ميدانه-في الدفاع عن الحديث- وآخر يضرب به معتقدات الملاحدة الذين طعنوا في القرآن، فيقول في كتابه الثاني "تأويل مشكل القرآن": وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا "ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله" بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة واللجن، وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل، ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور"[٣]. بل إن أبا بكر الباقلاني ما وضع كتابه-العجيب- "الانتصار للقرآن" إلا ليرد على هؤلاء غدراتهم على القرآن الكريم، يقول في مقدمة كتابه: ونصف جملا من مطاعن الملحدين، وأتباعهم من الرافضة في كتاب الله عز وجل، ونكشف عن تمويه الفريقين بما يوضح الحق، ونذكر في كل فصل من هذه الفصول، بمشيئة الله تعالى وتوفيقه، ما فيه بلاغ للمهتدين، وتبصرة للمسترشدين"[٤]. وأما الدكتور/ عبد الرحمن بدوى، فيؤرخ لهذا العداء لكتاب الله تعالى بقوله: لقد تعرض القرآن الكريم لهجمات كثيرة، سواء في الشرق أو في الغرب، وكان ذلك بدءا من النصف الثاني للقرن الأول الهجرى حتى الآن. ولقد بدأ يوحنا الدمشقى حوالى (٦٥٠-٧٥٠) تقريبا هذا الهجوم، بتوجيه عدة انتقادات على النسق العام للقرآن، ثم تبعه في ذلك "أثيميوس زيجابينوس" في كتابه: "العقيدة الشاملة". لكن أول هجوم مفصل على القرآن، كان من أعمال "نيكيتاس" البيزنطى في مقدمة كتاب: "نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب

١- المصدر السابق ص ١٢.
٢- مشكل الحديث وبيانه للحافظ أبى بكر محمد بن الحسن بن فورك (دار الوعى حلب- ط أولى سنة ١٤٠٢) ص ١٠.
٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (دار التراث- القاهرة سنة ١٩٩٣)، ص٢٢.
٤- انظر الانتصار للقرآن تصنيف الإمام أبى بكر ابن الطيب الباقلانى تحقيق الدكتور/ محمد عصام القضاة (دار الفتح للنشر والتوزيع- الأردن- طبعة أولى- سنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م) ١/٥٧/٥٨.

العرب المحمديين". أ هـ[١]. وأما محمد عزة دروزة فقد كشف عن مبشر لبنانى ألف أربعة كتب في الهجوم على القرآن ثم يقول: غير أنه حشاكتبه بأقوال، وبيانات وروايات، وتحليلات عن القرآن ومحتوياته، ونظمه، ولغته، وترتيبه، وعن شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وسيرته ورسالته، وصلتها بأهل الكتاب، وبتحديد أكثر باليهودية والنصرانية وكتبهما.

وفيهما الغريب العجيب المذهل من التخرص والتعسف، والتجنى والمجازفة، وتحريف الكلام، واللعب بالألفاظ، وعدم التورع عن أقوال فيها افتراء، وسوء أدب نحو القرآن ورسول الله، وكتاب وحيه، وأصحابه الأولين وتابعيهم، ونسبة الدس والزيادة في القرآن إليهم"[٢]. ولكن الذى يعنينا هنا، هو أن نكشف القناع عن وجه العلمانية لنرى وجهها الحقيقى، ونتابع حملاتها التى لا تنتهى على كتاب الله تعالى، وإلى أى مدى بلغ بها العداء لهذا الدين ولكتابه ورسوله، وتحت مسميات شتى، وبأقنعة مختلفة لا تروج إلا عند الأغرار، هم الذين تنطلى عليهم هذه الحيل الشيطانية المارقة أيضا وكأن القرآن الكريم هو عقبتهم الكأداء التى تقف في طريقهم إلى بلوغ أوج الحضارة والتقدم، وإدراك المدنية الحديثة ومطاولتها، وكأن القرآن أيضا هو الذى يقصف أقلامهم، ويحد من إبداعاتهم وتألقهم. هكذا يصورون للناس، ونسوا أن القرآن الكريم شرف هذه الأمة ومجدها، ومعجزة نبيها "صلى الله عليه وسلم" المتلألئة، التى لا يخبو سناها، ولا تأفل شمسها "وإنه لذكر لك ولقومك"[٣]. وكذلك كان القرآن أساسا لحضارة عظيمة لم يعرف مثلها التاريخ، عاشت أكثر من ألف عام. وهذا يدعونا إلى أن نتعرف على أساليبهم، حتى لا يضل فيها من لا يعرف خداعهم، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

١- انظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه تأليف الدكتور/ عبد الرحمن بدوى (الدار العالمية للكتب والنشر- القاهرة، سنة ١٩٩٩)، ص٥.
٢- انظر: القرآن والمبشرون تأليف: محمد عزة دروزة (المكتب الإسلامى- بيروت- ط ثالثة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) ص ٦،٧
٣ - الزخرف آية: ٤٤

المبحث الثالث: أساليب العلمانيين فى الطعن على القرآن الكريم

ولأن لكل حرب سلاحا يناسبها، فربما كان الطعن المباشر والعداء المكشوف لا يؤتى ثماره المرجوة، فكان لا مندوحة أن يلجأ أعداء القرآن إلى المباطنة، وتغيير الأساليب والأدوات؛ ولذلك يقول الدكتور/ محمد البهى: عندما استغرق الجدليون الأول فى الإساءة إلى الإسلام والتضليل فى فهمه، كان غرضهم تخريبيا هداما، وبدخول الأهداف التبشيرية، أصبحت هناك حاجة إلى شئ من الموضوعية، وأصبح منهج العمل مزيجا من تشويه الإسلام وإظهار معايبه، ولكن على أساس من وقائع أكثر ثباتا، لأجل المقارنة مع المسيحية. وقد هجرت الآن الطريقة الأولى عمليا.

أما الثانية، فقد هون منها شيئا ما، أو ألبست زيا جديدا"[1]. وإن كانوا قد غيروا أساليبهم ونوعوها، إلا أنهم بحال لم ينسوا الهدف والغاية التى يعملون لحسابها، وهى زعزعة الثقة فى قلوب المسلمين بكتابهم، وخلق نوع من الاضطراب والقلق والبلبلة فى فهم معانى هذا الكتاب، تحت دعاوى مختلفة منها: التجديد أو الإصلاح أو النظر الحر، يقول الدكتور/ محمد حسين الذهبى: وكان من أهم الأبواب التى طرقوها؛ ليصلوا بها إلى نواياهم السيئة: تأويلهم للقرآن الكريم، على وجوه غير صحيحة، تتنافى مع ما فى القرآن من هداية، وتناقض ما هو عليه من محجة بيضاء. فقد ظهر أشخاص فى هذا القرن، يتأولون القرآن على غير تأويله، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم، ويقضى حاجات فى نفوسهم، فأدخلوا فى تفسير القرآن آراء سخيفة، ومزاعم باطلة. فمنهم من حسب أن التجديد، ولو بتحريف كتاب الله سبب لظهوره وشهرته، فذهب يفسر كتاب الله تفسيرا لا تقره لغة القرآن، ولا يتفق مع قواعد الدين العامة. ومنهم من تلقى من العلم حظا يسيرا فراح ينظر فى كتاب الله نظرة حرة، لا تتقيد بأى أصل من أصول التفسير، ثم أخذ يهذى بأفكار فاسدة، تتنافى مع ما قرره علماء اللغة وأئمة الدين.."[2]، فكأن هؤلاء يغيرون جلودهم بين حين وآخر، ويستخفون وراء عناوين براقة، ودعاوى فارغة؛ لينالوا من كتاب

١- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور/ محمد البهى ص ٦٠٧.

٢- انظر الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها تأليف الدكتور/ محمد حسين الذهبى (الناشر: مكتبة وهبه- ط ثالثة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦)، ص ٩٣، ٩٤.

الله، ولكنهم-والحمد لله- يعودون فى كل مرة بخفى حنين، وقد ملأت الحسرة قلوبهم، وأكل الحقد ما بقى من نفوسهم!!

وقد آن لنا أن نتعرف على فكر هؤلاء العلمانيين- مع التجوز فى استعمال كلمة فكر- أو بالأحرى على انحرافات هذه الطائفة، وليس الخبر كالعيان، ولتكن البداءة بمن ملأ الدنيا ضجيجا بضرورة التجديد والتحديث فى تفسير القرآن.

المبحث الرابع: بعض العلمانيين "من الصحفيين" يفسر آية النساء (آية: ٣) فى حكم تعدد الزوجات ومناقشته، والرد عليه

لا ينبغى لأى إنسان أن يفسر القرآن برأيه، حتى لو أصاب فقد أخطأ، ولكن إذا عرف قواعد التفسير وأصوله، واستخدم أدواته، واستعمل مبادئه المعروفة والمعتمدة، جاز له أن يفسر القرآن، بل هو من أفضل الأعمال وأشرفها؛ لأن مادته هى القرآن الكريم. إذا عرف ذلك فإننا سنعرض لبعض محاولات العلمانيين فى تفسير القرآن الكريم، ونكشف عن مناهجهم فيها، ونرد عليها أولا بأول، حتى لا تزكم أنوفنا، وتقزز نفوسنا. وأرى أن نبدأ بأسخفها، وأقلها ماء، لواحد من هؤلاء العلمانيين، وكنت قد أشرت فى بداءة هذا البحث إليه، وقد بسط لسانه فى علماء المسلمين، وسلقهم هجاء وتثريبا، فقلت: ربما يكون قد بنى هجومه على مرجعية كبرى يتضلع بها، ولم يسبق إليها، وعلا كعبه على علماء الأمة قاطبة فى هذا العصر، فصار يطرح عليهم كيف يجددون الخطاب الدينى، ويبين لهم مفهوم الخطاب الدينى، ويحدد لهم كيف يفسرون القرآن الكريم؟ وعلى أى أساس ينبغى أن يفسر؟ ثم كيف يستنبطون الأحكام الشرعية على قاعدته الجديدة؟ حتى يدخل بعلماء المسلمين عصر التنوير والتجديد؟!!! ولكن قبل أن نقدم نموذجا من محاولته لتفسير بعض آيات القرآن الكريم، ينبغى أن يتقدم هذا كله معرفة أقدار العلماء، وإنزالهم منازلهم، ثم مراعاة أدب الحوار ولو مع الاختلاف فى الرأى، وأسوق إليه هذا المثال الرفيع بين إمامين من أئمة المسلمين، فى مسألة علمية خالف فيها الإمام الكلاعى (ت: ٦٣٤هـ) عن رأى الإمام ابن اسحاق -صاحب السيرة النبوية- فقال الإمام الكلاعى: "فإن كان ابن اسحاق عنى ما ذكرناه عنه ونسبناه إليه، فقد بينا وجه رده، وإن كان عنى غير ذلك فقصر عنه تحرير عبارته أو سقط على الناقل من كلامه، ما كان يفى لو بقى إفهامه، فالله تعالى أعلم، والرجل أولى منا بأن يصيب ويسلم". وهذا كما ترى،

تنبيه على لزوم التثبت والتحقق أولا: ثم يعطى من نفسه الدرس النافع فى احترام العلماء، فيقول: "ونعوذ بالله أن نقصد بهذا الاعتداء على ذى العلم أو الغض من ذى حق؛ فإن العلماء هم آباؤنا الأقدمون، وهداتنا المتقدمون، بأنوارهم نسرى فنبصر ونستبصر، وإلى غايتهم نجرى، فطورا نصل وأطوارا نقصر، إذا أصابوا اعتمدنا، وإذا أخطأوا استفدنا، وإذا افادوا استمددنا"[١]. وما علينا بعد ذلك أن نقدم الكاتب ليشرح لنا تصوره، ويبدى محاولته، ويظهر مرجعيته، ويبين إلى أين تقودنا؟

وبعد أن طرح علينا تصوره فى تجديد الخطاب الدينى فى مقاله الثانى[٢]، واصطنع له فى ذلك قدوة ومثلا، بالسيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام محمد عبده وعلى عبد الرازق ومصطفى عبد الرازق ومصطفى المراغى وأحمد أمين وأمين الخولى، ثم قال عنهم: "هؤلاء هم الرواد الذين نفضوا التراب عن راية الاجتهاد، ورفعوها من جديد، وأقاموا أول حوار بين الإسلام والعصر الحديث، وكشفوا عما فى التراث الإسلامى من قيم ومواقف، يمكن أن تكون أساسا لتفكير عقلانى حكيم..". ثم يفسر لنا معنى الخطاب الدينى فيقول: "فإذا أردنا أن نعرف الفرق بين الدين والخطاب الدينى... باختصار، الدين هو: الحقيقة الكاملة أو هو الله والخطاب الدينى هو: الإنسان أى هو الثقافات المختلفة، والاجتهادات المتباينة، والحاجات التى تتغير وتتطور باختلاف الزمن وتوالى العصور" يريد أن النصوص ملك للإنسان يفسرها بثقافته واجتهاده ومصلحته التى تتغير، ولا تتقيد بقيد يخرجها عن هذا الإطار، كما ستعرف من تطبيقاته لهذا المنهج الذى إختطه، وبهذا المنطق السقيم يريد أن يفسر القرآن الكريم، ولكنى سأحتكم إلى اثنين فقط ممن اتخذهم بنفسه مثلا يحتذى، وهما الأستاذ الإمام محمد عبده والشيخ أمين الخولى. يقول أمين الخولى- عن مفهومه للتجديد:- (وقد تقدمت إلى هذه المحاولة- يقصد فى مادة التفسير- تحت الشعار الذى اتخذته لنفسى، وهو: أول التجديد قتل القديم فهما"[٣]. ونحن بدورنا نسأل، هل قتلت القديم فيهما؟ أو قتلته فقط؟! بل ولم تأخذ بالجديد المعروف والمجمع عليه أيضا، وتركت كل ذلك إلى اتباع

١- أنظر: الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء للإمام أبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى الأندلسى بتحقيق مصطفى عبد الواحد (مكتبة الهلال - بيروت- ط أولى ١٢٨٧، ١٩٦٨)، ١/٢٦٩.

٢- جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ٢٣/يناير/٢٠٠٢م.

٣- التفسير- نشأته- تدرجه- تطوره بقلم: أمين الخولى ص٧٥.

الهوى، والتفسير بالرأى الذى يذم الأخذ به ولو صادف الصواب. وأما الأستاذ الإمام محمد عبده فيقول: للتفسير مراتب أدناها: أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير.. وأما المرتبة العليا- التى هى فرض كفاية- فهى لا تتم إلا بأمور: ثم ذكر منها أنه: يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الإصطلاحات التى حدثت فى الملة؛ ليفرق بينها وبين ما ورد فى الكتاب، فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التى حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله..الخ"[١]. ثم نأتى -بعد كل ذلك- إلى النموذج الذى قدمه الكاتب لتفسير بعض النصوص القرآنية، بما لا يعرف لأحد قبله، على غير أصل من التفسير الصحيح المقبول، بل هو خبط على غير هدى، فى قحة لا تعرف الحياء، ولا تميز بين الحلال والحرام، يقول فى مقاله الثالث[٢]:- "ونعود إلى موقف الإسلام من المرأة، فنقرأ الآية التالية من سورة النساء: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[٣]. والسؤال: هل نفهم هذه الآية بما تقوله أم بما تقصده؟ والحكم الذى يمكن استنباطه هنا، هو أن الإسلام لا يقبل الجمع بين الزوجات؛ لأنه لا يقبل الظلم، وهذه هى غايته المقصودة فى نصوصه التى تدور حول الزواج، وحول علاقة الرجال بالنساء". وفى الحقيقة هذا غثاء يبعث على الغثيان، وقول يستلزم التوبة والاستغفار، وهو على كل حال يكشف وبشكل سافر عن جهل صاحبنا المركب بمبادئ التفسير وبدهياته، فضلا عن دلالات النصوص على الأحكام، ولا يدرى أن نصوص القرآن جميعها قطعية الثبوت من جهة ورودها ونقلها إلينا، ولكن هذه النصوص تنقسم إلى قسمين من جهة دلالتها على ما تضمنته من الأحكام[٤] فأما القسم الأول، فهو القطعى فى دلالته على مراد الله تعالى، وهو كل لفظ لا يحتمل إلا معنى واحداً، ولا يقبل تأويلا ولا اجتهادا؛ لأنه صريح فى دلالته على

١- انظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف: محمد رشيد رضا (دار المعرفة- بيروت- طبعة ثانية- بدون) ج١/٢١، ٢٢.

٢- جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ٢٧/مارس/٢٠٠٢م.

٣- النساء آية ٣.

٤- انظر: علم أصول الفقه تأليف: عبد الوهاب خلاف (مكتبة الدعوة الإسلامية- شباب الأزهر- طبعة ثامنة- بدون) ص ٣٤/٣٥.

المراد منه[١]. وهذا القسم قليل بالنسبة للقسم الثانى. وأما القسم الثانى فهو ما هو ظنى فى دلالته. هو كل لفظ لا يخلو من احتمال فى دلالته، بأن كان موضوعا لأكثر من معنى، أو وضع لمعنى واحد، ولكنه استعمل فى غير معناه بقرينة أو بأخرى. وهذا القسم هو الذى يقبل التأويل والاجتهاد[٢]، وفيه اختلف المجتهدون فى الفهم والاستنباط[٣].

وبتعبير الدكتور/ زكريا البرى: الأحكام المستقرةبالنسبة للنوع الأول، والأحكام المتغيرة بالنسبة للنوع الثانى[٤].ثم إذا نظرنا إلى قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)[٥]، ثم استعرضنا آيات الأحكام وجدنا أن أكثر بيان القرآن للأحكام إجمالى لا تفصيلى، وكلى لا جزئى، ليفسح المجال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- وليقوم بالبيان، وليتسنى للمجتهدين استعمال عقولهم فى تطبيق كلياته حسبما يحقق للناس مصالحهم، ويتلاءم مع مختلف البيئات على مر العصور[٦].

فإذا كانت أكثر أحكام القرآن إجمالية لا تفصيلية، وكلية لا جزئية فإن ذلك لا يفيد الأستاذ الكاتب؛ لأن من بين الموضوعات التى تحدث عنها القرآن الكريم تفصيلا لا إجمالا، وجزئيا لا كليا هو موضوع الأسرة وأحكامها، من زواج وطلاق، وما يتبعه من أحكام العدة، والنفقة[٧]. فإذا قال بعدم إباحة تعدد الزوجات، أو بحرمة الطلاق مثلا؛ كان هذا القول تجاوزا للنصوص، وافتياتا عليها، ومصادمة لمقاصدها، وجهلا بأسرارها وحكمة تشريعها[٨].

١- مثل قوله تعالى: "ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد" على أن للزوج النصف إذا ماتت زوجته عن غير ولد، فإن الآية لا تحتمل معنى آخر ولهذا أجمع الفقهاء على ذلك ولم يخالف فيه أحد.

٢- مثل قوله تعالى: "وامسحوا برءوسكم" على مقدار ما يسمح من الرأس فى الوضوء، وهل هو كلها أو بعضها، تبعا لاختلافهم فى معانى "الباء".

٣- انظر: أصول الفقه الإسلامى تأليف: محمد مصطفى شلبى (دار النهضة العربية- بيروت- ١٤٠٩٦هـ، ١٩٨٦م). ج١/٩٣.

٤- انظر: أيها السادة السلام عليكم ورحمة الله للدكتور/ زكريا البرى (الناشر: دار النهضة العربية- القاهرة- سنة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) ص ١١٤، ١١٥.

٥- النحل الآية ٤٤.

٦- أصول الفقه الإسلامى تأليف: محمد مصطفى شلبى ج١/٩٥ وغيره.

٧- أنظر: المعجزة الكبرى القرآن تأليف: محمد أبو زهرة (دار الفكر العربى- القاهرة ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م) ص ٣٩٦، وما بعدها.

٨- أنظر: أيها السادة للدكتور/ زكريا البرى ص ١١٤، ١١٥، وانظر أيضا: مصادر الأحكام الإسلامية للدكتور/ زكريا البرى (دار الاتحاد العربى للطباعة بمصر

ثم بقى علينا بعد ذلك أن ننقل إليه ما قاله الإمام محمد عبده فى مسألة تعدد الزوجات، يقول: "شأن الرجال الذين يخافون الله ويوقرون شريعة العدل، ويحافظون على حرمات النساء وحقوقهن، ويعاشروهن بالمعروف، ويفارقوهن عند الحاجة، فهؤلاء الأفاضل الأتقياء، لا لوم عليهم فى الجمع بين النسوة إلى الحد المباح شرعا"[١]. ولكننا لا نجد بعد ذلك مسلكا يتخرج عليه كلام صاحبنا، فإن ادعى علينا أن هذا من باب الاجتهاد قلنا له: ليس هذا من قبيل الاجتهاد فى شئ. أما أولا: فإن صاحبنا قد تجاوزه باب التقليد، فكيف يسعه باب الاجتهاد؟ وأما ثانيا: فإنه لا اجتهاد مع النص كما يقول الأصوليون.

وبعد: فهذا مثال قدمناه لواحد من طائفة العلمانيين، وخبرنا ما فاح به على كتاب الله تعالى من الأغاليط والأباطيل المرذولة، ولم نقف عنده مليا- ولا ينبغى لظهور فساد قوله، وقلة حيلته فى مداراة بضاعته المزجاة، ومتاعه- الرث الخلق. ثم نقدم إليك- أيها القارئ الكريم- نموذجا آخر لواحد من العلمانيين، استوجب منا وقفه متأنية ومترسلة، بل إن كتابه هو الذى أوحى بهذا البحث، ودفع إليه؛ ولكن قبل أن نعرض له ينبغى أن نؤكد على حقيقة وهى، أن سلسلة العداء لكتاب الله متواصلة، وأن الشبه المثارة قديمة، وإن أخذت أشكالا مختلفة ومتفاوتة فى عرضها فى العصر الراهن، فمثلا الشبهة التى عرضها صاحبنا العلمانى قديمة أيضا، ولكن مثيريها كانوا أكثر حنكة وأشد مراسا وأبعد أفقا من هذا وغيره؛ لأنهم لا يجدون وجها للتعارض بين الآيتين[٢] فى جواز التعدد، ولكنهم اعترضوا فقط على سياق الآية الأولى وتناسب جملها، وقد نقل عنهم ابن قتيبة ذلك، فيقول: "وأما قولهم: أين قوله: "فإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى" من قوله: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء.."[٣]. فهل شئ أشبه بشئ أليق به من أحد الكلامين بالآخر؟.. ثم قال: فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضا ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثا وأربعا، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن

سنة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، ص٣٢، تاريخ التشريع الإسلامى للشيخ/ محمد الخضرى (المكتبة التجارية الكبرى بمصر- ط تاسعة سنة ١٣٩٠- ١٩٧٠م)، ص ٢٩.

١- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده جامعة: محمد رشيد رضا (مطبعة المنار بمصر- طا ثانية سنة ١٣٤٤هـ) ج٢/١١٨.

٢- االنساء الآيتان: ٣،١٢٩

٣- النساء آية: ٣

العدل.."[1]، ولكن هذه الشبهة عدلت بعد ذلك، ليتداولها من لا دراية له بأسرار التشريع الإسلامى، يقول الدكتور/ على العمارى: ولهذه الشبه ذهب بعضهم إلى أن الشريعة الإسلامية حرمت التعدد تحريما باتا. وذهب بعض المحترفين من الصحفيين إلى أن ذلك رأى كثير من الفقهاء!. ولكن أمرا واحدا لا أدرى كيف طووا أنفسهم عليه، ذلك أن النبى وأصحابه وتابعيهم، والعلماء منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا يقرءون هاتين الآيتين، ويجيزون التعدد قولا وعملا"[2]، ونقول: عرف التعدد عند كثير من الأمم السابقة كالصينيين والهنود والبابليين والآشوريين والمصريين، وعرف التعدد كذلك عند اليهود، ولم يكن تعددهم يخضع لحدود، وقد عدد أنبياؤهم جميعا. أما عند النصارى فليس هناك نص صريح يمنع التعدد، ومن الثابت أن لا علاقة للدين المسيحى فى أصله بتحريم التعدد، ولكن الاقتصار على واحدة لم يكن إلا من عهد الملك شارلمان، الذى كان متزوجا بأكثر من واحدة، ثم أشار القساوسة فى ذلك الوقت على المتزوجين بأكثر من واحدة، أن يختار الواحد منهم واحدة زوجة، والأخريات تسمين أخدانا!!. كما أن نظام تعدد الزوجات، لا يزال فى الوقت الحاضر منتشرا فى عدة شعوب لا تدين بالإسلام كإفريقيا والهند والصين واليابان، فليس بصحيح إذن ما يزعمونه، من أن هذا النظام مقصور على الأمم التى تدين بالإسلام. بل إن نظام تعدد الزوجات لم يبد فى صورة واضحة إلا فى الشعوب المتقدمة فى الحضارة، على حين أنه قليل الانتشار، أو منعدم فى الشعوب البدائية المتأخرة، كما قرر علماء الاجتماع ومؤرخو الحضارات. وعلى رأسهم: وسترمارك، وهوبهوس وهيلير، وجزبرج، فكأن تعدد الزوجات ليس مرتبطا بتأخر الحضارة، بل هو عنوان على تقدمها. يقول العالم الفرنسى "جوستاف لوبون": إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام، لمن أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة، الذى تذهب إليه وتعتصم به، وأوثقها للأسرة عقدا، وأشدها

١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٧٢، ٧٣.

٢- انظر تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر تأليف الدكتور/ على العمارى (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة- العدد: ١٦٩ سنة ١٣٩٥-١٩٧٥م) ص ٨٠، ٨١.

لها أزرا، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنا، بلحترام الرجل لها من أختها الغربية أهـ[1].

الفصل الثانى وعنوانه: عرض ومناقشة "نماذج من" كتاب سلطة النص: "قراءات فى توظيف النص الدينى" تأليف: الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن

وتحته عدة مباحث:

المبحث الأول: المنهج العام الذى استند إليه المؤلف، ثم سلكه فى تفسير القرآن الكريم

نحن الآن أمام نموذج آخر لبعض العلمانيين، يختلف عن النموذج الأول من حيث إنه أبعد حيلة، وأضل عن سواء السبيل، يلبس مسوح العلماء والنقاد، بيد أنه يخفى سمومه تحت الآليات الحديثة التى يستخدمها فى تفتيت النص القرآنى- ولو كانت سورة كاملة- وتمزيقه، وإخراجه عن إطاره العام ونسقه وسياقته، ثم يقوم بتركيبه بعد تفريغه من مضمونه، حتى يصير طيعا أمامه، مجرد نص أدبى ولا شئ آخر، يخضع لما تخضع له كافة النصوص، سواء كانت أدبية أو بلاغية. وهذه الآليات الحديثة التى استخدمها فى تفسير النصوص القرآنية، وسترى ما تمخضت عنه وأنتجته؟!! ولكن هذه الآليات قد أثبتت إخفاقاتها المتتابعة، حين استخدمت مع نصوص أدبية وبلاغية، فما بالك بنصوص القرآن الكريم؛ لأنها لم تنضج بعد فى مدارس الغرب التى نتجتها، ولم تعترف بها هذه المدارس وتطبقها؛ لأنها مازالت فى مرحلة التجريب والاختبار، ولم تكتسب الصفة الرسمية بعد . سواء فى ذلك، الدراسات الصوتية، التى هى فرع من دراسات علم اللغة العام عند الغربيين. واللغة فى هذه الدراسات: أصوات تؤدى وظيفة اجتماعية. وهى فى عرفهم: ما يتكلمه الناس بالفعل، لا ما يجب أن يتكلموه، وهم من أجل ذلك لا يفرقون بين لغة ولغة، ولا بين فصيح وعامى. والدراسات التى يشتمل عليها علم اللغة العام بكل فروعه، ومنها الدراسات الصوتية، هى دراسة ناشئة عند الغرب لم تستقر بعد، ومصطلحاتها الأساس غير متفق عليها بين المشتغلين بها، ولا تزال

١- انظر: الإسلام عقيدة وشريعة تأليف: محمود شلتوت (دار الشروق) ص ١٩٩، نظام الاسرة فى الإسلام تأليف الدكتور/ محمد عجاج الخطيب، دكتور/ عدنان زرزور وآخرين ص ١١٥-١١٧، الفريدة الذهبية للدكتور/ حسن الكاشف ص ٦٠.

مفاهيم هذه المصطلحات ومعانيها، مختلفة بين بلد وآخر. والمدارس الأوربية والأمريكية لا تزال قانعة باتباع النظم التقليدية فى تعلم اللغات، ولا تزال اللغة الأدبية الفصيحة عندهم، هى المخصومة بالدراسة[١]. وقد آثرت التنبيه هنا على هذا، وكذلك على قبول واتباع مناهج علم النفس الحديثة، وجعل كل أولئك مرجعيات فى تفسير القرآن الكريم؛ لأن هذا رأس الداء كما سنرى- يقول أنور الجندى: إن من أكبر أخطاء التعليم والثقافة فى البلاد الإسلامية فى عصرنا هذا، هو قبولها مناهج الدراسات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية والتربوية، التى قدمها لهم الغرب على أنها مناهج عالمية أو إنسانية، وكانت الخدعة الكبرى لهم خلال سنوات طويلة أن ظنوا، أن هذه التجارب والمحاولات، التى قدمها مجموعة من المفكرين والفلاسفة، أمثال: فرويد وماركس ودوركايم وجون ديوى، على أنها علوم حقيقية، بل واعتبروها من الحقائق العلمية التى لا تقبل الخطأ، وحاول دعاة التغريب تأكيد قدسيتها، مع أنها لم تكن مقدسة فى بلادها، فهى لا تعدو أن تكون فروضا علمية، تقبل الخطأ والصواب، وثبت بالتجربة أنها بعد قليل قد اعتراها الانحراف، واحتاجت إلى التعديل[٢]. وكان أشدها تطرفا هو مذهب فرويد، الذى كان مذهبا من عدة مذاهب فى التحليل النفسى، ولكن لأن مذهب فرويد صنع من مفاهيم التلمود، أعطى أكثر مما يستحق وأذيع، وفرض فى الجامعات فى مختلف أنحاء البلاد الإسلامية، وسيطر على مناهج الأدب والقصة، وعلى دراسات التربية والأخلاق؛ وبذلك حمل إلينا أخطر المفاهيم وأبعدها عن الفطرة، وكانت ولا تزال آثاره البعيدة على التحلل والانحراف والفساد، الذى تموج به المجتمعات[٣]. تبنى المؤلف كل هذه المفاهيم المنحرفة والضالة والجديدة، التى ما فتئت قيد الملاحظة، وأثبتت حين تطبيقها إخفاقا يتلوه إخفاق، وكان من جناها الانحراف والشذوذ ثم المروق، ثم جعلها بعد ذلك مرجعيته التى لا تخطئ، وعدته فى تفسير القرآن الكريم، وهى من القواصم، التى تنتظر من رجالات التفسير أن يبحثوا لها عن عواصم.

١- أنظر: حصوننا مهددة من داخلها تأليف الدكتور/ محمد محمد حسين (مؤسسة رسالة- بيروت- الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ص١٨٩، ١٩٠.

٢- أنظر: العودة إلى المنابع دائرة معارف إسلامية تأليف: أنور الجندى (دار الاعتصام- القاهرة ، عام ١٩٨٤م) ص١٤١.

٣- انظر: نحو بناء منهج تأليف أنور الجندى، ص١٨٣.

المبحث الثانى

المنهج التفصيلى الخاص للمؤلف، ومناقشته، والرد عليه

هذا المنهج الذى انتهجه الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن يستمد أصوله من "تشومسكى". وهو أحد رواد المدرسة البنيوية الأمريكية- ويمثل اتجاها: "ينطلق من دراسة النص، على أساس تحليل تركيبى للكلمات والجمل. وبناء هذه التراكيب وتجزيئها، يقتضيان معرفة العنصر الأساس أو الوحدة أو الذرة البنيوية فى عملية التكون، وإعادة التكون" ويرى "تشومسكى" أن الدراسةالوصفيةالموضوعية التجريبية، لم تهتم بالمتكلم (ولو كان هو الله!!) أو بدوره فى تكوين الكلام. ويتخطى ذلك منتقلا إلى تفسير اللغة، وتحليل تركيب البنية اللغوية ومكوناتها، وتحولها من بنية لبنية أخرى.. وتحت هذا المفهوم اصطنع الدكتور/ محمد عابد الجابرى هذا المنهج "التشومسكى" فى دراسة النصوص الدينية[١].

ويقترح الدكتور/ الجابرى فى بحثه، المنهج التحليلى: أى النظر إلى الموضوعات لا بوصفها مجرد مركبات، بل بوصفها بنيات؛ لأن تحليل البنية- كما يرى- يختلف عن تحليل المركب، الذى هو مجرد فوز لعناصره الأولية. فمثلا يتكون الماء كمركب، من أكسيجين وهيدروجين. أما تحليل البنية، فيكون تفكيكا لثوابتها إلى تحولات لا غير، أى تفكيك العلاقات الثابتة فى بنية ما، الشئ الذى يحول البنية إلى لا بنية، أى مجود تحولات[٢]. إلا أن الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن، برغم رضاه التام عن هذا المنهج، وتمسكه به، وأخذه نفسه بهذا المنهج، إلا أنه اعتبره غير كاف، فيقول: علينا الآن أن نتعامل مع تلك الأداة، التى استخدمها الجابرى، فى تفكيك النص بنيويا، وهى طريقة تحليلية ملهمة ومفيدة.. ثم يقول: إلا أننا نعتقد بنقصانها وحدها كأداة أو كمنهج لجعل النص معاصرا لنفسه، ومعاصرا لنا أيضا.."[٣] أهـ.

١- مجلة العلوم الاجتماعية (الكويت ١٩٨٩) قراءات عصرية للتراث العربى الإسلامى للدكتور/ محمد عابد الجابرى ص٢٥١، ٢٥٢.

٢- أنظر: سلطة النص "قراءات فى توظيف النص الدينى" تأليف الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن (الطبعة الثانية ١٩٩٦- سينا للنشر- الانتشار العربى)، ص٤٢-٤٤.

٣- سلطة النص ص ٤٦.

هذا المنهج المستمد من "تشومسكى"[١]، وهو المنهج "البنيوى" أخذ به المؤلف -كما ترى- إلى جانب عدة مناهج أخرى، كما صرح بذلك فى أكثر من موضع بقوله: "ولكننا نظن بأن موضوع البحث هو المتحكم فى قيادة هذه السفينة، إن اقتضى الأمر ملاحا لغويا أو نفسيا أو اجتماعيا أو تاريخيا أو جدليا، فلن نتردد فى استدعائه"[٢]. وحتى لا يلتبس عليك أمر المؤلف، فإن ما قدمه- ونقلناه كما ترى- لا يعدو أن يكون منهجا واحدا- لم يقنع به وحده- فى نقد لغة القرآن الكريم فقط!! ولذلك يقول: "هل يكفى مثلا تطبيق البنيوية التحليلية فى اللغة على النص القرآنى لتحقيق هذا الهدف، حول فرضية التحدى المعجز؟ أم يجب أن تضاف إلى هذا المنهج مناهج قديمة تعاملت مع اللغة العربية[٣]. وأعلم يقينا وأنا معك -أنك ستدهش من كلمة: نقد لغة القرآن الكريم؟!!

فما بالك - وحالى معك- إذا علمت أن كتاب "سلطة النص" لمؤلفه: الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن من أوله إلى آخره فى نقد القرآن الكريم، لغته، ونظمه، وأسلوبه، وأحكامه العقائدية، وأحكامه التشريعية، وقصصه، وآدابه، وسائر ما يتعلق به؛ وذلك انطلاقا من أن القرآن الكريم لفظة ومعناه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس إلى الله فيه من شئ لفظا أو معنى، وسترى هذا بوضوح فيما يلى: يقول المؤلف: يقول ابن الهيثم: الواجب على الناظر فى كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصما لكل ما ينظر فيه، ويجيل فكره فى متنه وفى جميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه" ثم يقول: بهذا سنقترب من الحقيقة إن لم نكن قبضنا عليها؛ لأن النقد، هو طرح أسئلة جديدة أو أسئلة قديمة بطريقة جديدة، ونقد النقد، هو اختراق الإجابات يجعلها دائما مفتوحة لأى سؤال ولأى أداة، ثم انظر إلى حكمه على النص القرآنى - مهما تخفى وراء العبارات، كما هى عادته فى هذا الكتاب- يقول: المنظور فيه، هو إجابات جاهزة، قد تكون متماسكة، وقد تكون زائفة، لكنها -على أية حال- بنت عصرها"[٤]. ويقول أيضا عن

١- تشومسكى هو أحد رواد المدرسة البنيوية الأمريكية نشر عام ١٩٥٥م فى مجلة اللغة بحثا بعنوان: علم التراكيب الرياضى وعلم الدلالات. سلطة النص ص٤٢ نقلا عن مجلة العلوم الاجتماعية س ١٩٨٩ ص ٢٥٢ وغيره.
٢- سلطة النص ص ٦٠.
٣- سلطة النص ص ٤٠.
٤- سلطة النص ص ٢٨.

بشرية القرآن: ولأن النصوص هى مجرد لغة إنسانية موظفة.. وبحكم البشر الذين وظفوها"[١]. وهو يعتقد أن النصوص القرآنية اكتسبت قداستها، ليس لأنها من عند الله، أو أنها حق فى ذاتها، بل لأنها رسخت منذ زمن طويل رسوخا يدعمه تقادم غير نقدى على الإطلاق[٢]. ويقول: إن خصوصية التفرد الإسلامى هنا، ترتبط بطبيعة الأوهام الخاصة السائدة، بل وببنية الموضوعات المطروحة من حيث إنها بدأت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان". ولذلك يقوم المؤلف بعملية هدم كاملة يقول: تلزمنا روح جسورة لنقرأ من جديد كل شئ، ونطور كل شئ، اللغة والفقه والتاريخ والرموز والبنيات المعرفية كلها.. إن استخدام الحاضر فى إعادة البناء، يقتضى قبل ذلك الهدم.."[٣]. هو يقوم بعملية الهدم، ليؤسس لمنهجه النقدى لنصوص القرآن الكريم، ولذلك يقول: "كيف يكون المنهج عمليا فى مواجهة منظور فيه، ذى خصوصية وتفرد؟ -ويقصد بهذا القرآن الكريم- المنهج أداة، عليها أن تتحرر قبل كل شئ من عدة أوهام مستعيرين كلمات "قرانسيس بيكون": الشرط الأول: تطهير العقل من الأوهام.. والوهم الثانى: هو (وهم الكهف) وهو النظر من وجهة النظر الخاصة والذاتية. والثالث: وهم السوق: وهو طغيان السفسطة اللفظية كما يحدث فى السوق.

والوهم الرابع هو: "وهم المسرح" وهو سيطرة القدماء ونفوذهم مثلما يسيطر الممثلون على المتفرجين"[٤]. وهو من أجل ذلك كله، وقد تحرر من كل شئ، يقول: لكن التعامل مع أى نص باعتبار تعاليه، سيرى جانبا واحدا من هذا النص، وهو الجانب اللاهوتى فقط- لا تخدع بهذا فليس هذا منه تسليما بعقيدة ما، وإنما باعتبار أنها كذلك عند المؤمنين بها- أما ما يخص الأرضى فى هذا النص، باعتباره لغة بشرية، تحمل حروفا وكلمات بشرية ورموزا ومدلولات بشرية، فسيظل فى نظر اللاهوت إفسادا لقداسة النص وتلويثا لإلهيته"[٥]. لكنه لا يخشى ذلك فيقول: زعم أنف التقديس المضر، لا وأن نمس علوما اجتماعية وإنسية وتاريخية وغيرها. هنا يرى بعض علماء الاجتماع مثل "فوكن"،

١- سلطة النص ص ٢٨.
٢- سلطة النص ص ٣٧.
٣- سلطة النص ص ٢٧، ٢٨.
٤- سلطة النص ص ٣٨.
٥- سلطة النص ص ٣٤، ٣٥.

"زالامانسكى" أنه من الممكن استخدام النصوص الأدبية كوثائق اجتماعية لفهم نظام اجتماعى ما. ونرى أن ذلك يكون صحيحا بالنسبة للنصوص الدينية أيضا"[١]. والمؤلف يتعامل مع القرآن الكريم هنا باعتباره نصا أدبيا بشريا، أى من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم-معاذ الله- فيقول: لهذا إن تعاملنا مع النص الدينى، باعتباره نصا أدبيا، واستخدمنا مناهج اللغة وفقهها، أو مناهج التاريخ أو المناهج الاجتماعية، سواء أكانت تجريبية أم جدلية فسيظل هذا التعامل قاصرا، ويحتاج إلى البحث فى بنية الاعتقاد الإنسانى -أى جانب العقيدة نفسها[٢]- من الناحية التاريخية أو ذلك الجانب الأسطورى التخيلى، الذى يصبغ كل العقائد الدينية بصبغة اليقين المطلق"[٣] أرى الآن أنه قد وضح الصبح لذى عينين، وأننا إزاء علمانية إلحادية صريحة لا تؤمن بشئ!! ولكننا برغم ذلك- سنكتم أنفاسنا ونستعين الله عليه- حتى يخرج لنا ما فى جعبته ثم نطاوله فى النقاش حتى نعلوه- بحول الله وقوته- ونلقم فاه الحجر. ولأنه يؤمن بأن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو جملة من أساطير الأولين بعضه، وبعضه الآخر من اليهود والنصارى- كما سيأتى فى موقفه من القصص القرآنى- يقول هنا أيضا عن المنهج: فرغم اصطلاحات البنيوية التركيبية حول الوعى الممكن، والوعى القائم، والوعى الضمنى، والرؤية للعالم.. إلا أنها لا تشفى غليلنا فى ما يخص النص الدينى، وهو أمر يحتاج تحليلا لنفسيات وعادات ولغات وأساطير الشعوب القريبة والبعيدة مكانيا، والقريبة والبعيدة زمانيا"[٤]. ثم يشرح لنا كيف يتعامل مع النص القرآنى بأكثر من طريقة مرة أخرى فيقول: وقبل الحديث عن العنصر الفعال لابد من اكتشافه أولا، ولاكتشافه لابد من إدراك عناصر أخرى خارج هذا النص ترتبط به وتمده بمعناه، وهنا يستعين المنهج بأدوات أخرى أو مناهج أخرى، لوضع اليد على ذلك العنصر، بل ويقتضى الأمر القيام بعدة تجارب لرؤية ذلك النص فى حالات متعددة، سواء فى حالات نفيه أو وضعه قياسا بموازاة نصوص متشابهة أو فى حالات قلبه، أو حتى بعزله عزلا تاما عن أطره التى ارتبط بها، ثم إعادة ربطه، أو بتفكيكه وإعادة تركيبه، أو باستخدام الحيل المنطقية المتعددة!! ثم محاولة رؤية تاريخه الخاص والذات

١- سلطة النص ص ٣٥.
٢- سلطة النص ص ٣٧ وهو يرى عقلنة الإيمان أيضا ص ٣٤.
٣- سلطة النص ص٣٧.
٤- سلطة النص ص ٣٧.

الجماعية والفردية المنتجة له- أى ربما يكون الرسول ومعه غيره من أصحابه اشتركوا فى وضع النص القرآنى- ولحظة إنتاجه النفسيه"[١] أى بمعنى هل كان معتدل المزاج، أو ثائرا، أو محرضا، أو واعظا، أو متشفيا.. أليس بشرا وله انفعالات شتى!! ولذلك تراه يقول هنا فى وضوح؛ وهو يستخدم مناهج التحليل النفسى فى تفسير القرآن الكريم: "لو تحدث البعض- وهو يقصد نفسه كما سترى- عن تطبيق مناهج التحليل النفسى على النص الدينى-أى على القرآن- لانزعج الكثيرون؛ لأن هذا معناه فى فهمهم الهبوط بالسماوى إلى الأرضى، فإن قيل: بأن اللغة بشرية بما تحمل هذه اللغة من رموز ومعان، من عواطف ومشاعر، من غضب وخوف ورهبة، من حب وآمال وآلام، من تسامح وبغضاء وانفعالات شتى.. لأن نفسية الإنسان الذى نزل النص أو جاء معاصرا له، أو جاء به ذلك الإنسان، تستتبع فهم الظروف الشخصية والاجتماعية والبيئية والتاريخية التى عاشها كفرد أو فى جماعة"[٢]. ثم يخلص إلى أن يقول: اللغة هى أداة للتواصل بين الناس، وللناس أهواؤهم وأطماعهم وأفكارهم ومشاربهم، فتخرج اللغة لها أهواؤها، وأطماعها ومدلولاتها ومشاربها"[٣]. هذه هى نظرته إلى القرآن، وهذا هو منهجه فى تفسير القرآن. ولو نظرنا إلى رأيه فى السنة النبوية لا نجده أحسن حالا-مهما تصنع والتوى- من رأيه فى القرآن وكذلك الإجماع، فهو يرفض الحديث النبوى مهما كانت درجته إذا لم يساعده على هذيانه، ويرى فى منهج الحرج والتعديل أن لا أهمية له يقول: الحرج والتعديل، إن جاز فى عصره إلا أنه لا يجوز الآن، أو حتى منذ قرن تقريبا، وقد تطورت الوسائل والمناهج والعلوم تطورا كبيرا"[٤]. ويقول عن الإجماع: "يجوز أن تجمع الأمة كلها على الخطأ"[٥]. أما وقد مثل المنهج-تقريبا- بين يديك، لا يغيب منه شئ فى مجمله إلا أن يكون تفصيلا أو استطرادا أو تفريعا لهذه القواعد والآليات، التى أخذها على عاتقه، واصطنعها فى تفسير القرآن ونقده، وهذا برنامج عمل يحتاج منا إلى مراجعة كلية، حتى نتمكن من نقده ثم نقضه، بل هدمه على رأس صاحبه! وهذا يحتاج فى ظاهر الأمر إلى سفر كبير ليس

١- سلطة النص ص٥٧.
٢- سلطة النص ص ٥٦.
٣- سلطة النص ص ٣٣.
٤- سلطة النص ص ٢٩.
٥- سلطة النص ص ٢٩.

إلى بحث كهذا، ولكن فى حقيقة الأمر، إن الأمر أهون من ذلك بكثير وإن كنا فى هذا البحث سنقتصر على نماذج فقط من هذا الكتاب نسلط عليه شمس الحقيقة حتى تذيبها، وتطهر المكان الذى حلت به؛ لتصير هذه النماذج التى نعالجها عنوانا على غيرها، ودليلا على بطلانها وفسادها. وإن كنت آمل أن أعود إليه مرة أخرى؛ لأنقض بناءه لبنة لبنة؛ لأنه بناه على جرف هار فانهار به فى نار جهنم. وعسى أن يكون قريبا. ولكنى مضطر أن أرد عليه الآن مرتين، أن أرد ردا إجماليا، ثم أرد عليه ردا تفصيليا أثناء عرضى لتطبيقه منهجه أولا بالأول.

الرد الإجمالى على هذا المنهج

وبداءة يلزمنا أن نتعرف أولا على منهج التحليل النفسى، وكذا بقية المناهج -ولو بكلمة يسيرة- التحليل النفسى هو: منهج للعلاج النفسى ذهب إليه فرويد، ويقوم على تفسير مواقف عند المريض بطرائق متعددة، كتداعى المعانى، والكتابة الأتوماتيكية، وتحليل الأحلام. ويرمى إلى استكشاف الذكريات النفسية، والرغبات المكبوتة، ونقلها من العقل الباطن إلى منطقة الوعى. ورد فرويد هذه الرغبات إلى الغريزة الجنسية، ولم يقره يونج ولا أدلر على ذلك[١]. ويقتصر مصطلح التحليل النفسى على تلك المدرسة التى أسسها فرويد، بعد انتقاله من التنويم إلى التداعى الطليق. والتحليل النفسى الجديد: مصطلح يطلق على اتجاهات متعددة لا اتجاه واحد فحسب، لبعض أولئك الذين قالوا: إنهم يستندون إلى نظرية التحليل النفسى مع إعادة بنائها فى اتجاه الاهتمام بالعوامل الاجتماعية على سبيل المثال، من أمثال: كارين هورنى وإيريك فروم، وهارى أستاك سوليفان. وغيرهم. ويكفى للتدليل على خطأ نقدهم الأساس، من إغفال التحليل النفسى الفرويدى للعوامل الاجتماعية، أن نذكر بما أشار إليه فرويد نفسه عندما يقول: "وتلزمنا طبيعة الوقائع التى تشكل مادة التحليل النفسى، أن نبذل فى تواريخ الحياة التى ندرسها من الاهتمام بالظروف الإنسانية والاجتماعية الصرفية لمرضانا، بقدر ما نبذل من اهتمام بالمعطيات البدنية وبالأعراض المرضية" ومن الطريف أن هؤلاء الفرويديين الجدد، جلهم من المهاجرين إلى أمريكا، ولا غرابة أن يقول فرويد- بعد زيارته لأمريكا سنة ١٩٠٩م: "أمريكا إنها غلطة، غلطة

١- أنظر المعجم الفلسفى (القاهرة- مجمع اللغة العربية- الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٣٩٩، ١٩٧٩م) ، ص٤١.

كبيرة"[١]. ولقد أعجبنى رد الدكتور/ محمد مندور على ما جاء فى كتاب: "من الوجهة النفسية- فى دراسة الأدب ونقده" للأستاذ/ محمد خلف الله. حيث يقول الدكتور/ محمد مندور: وقد أنكرت إقحام النماذج النظرية، التى يخططها علماء النفس، والنظريات السيكولوجية على دراسة الأدب ونقده، مؤكدا أن وظيفة النقد الأساسية، هى البحث عن الأصالة، وأن البشر لا يمكن أن ينطووا فى الحياة تحت نماذج، لأنه ليس هناك إلا أفراد، وبخاصة فى المستوى الممتاز وإذا كانت أوراق الشجرة الواحدة لا يمكن أن تتطابق، فكيف نريد أن يتطابق أفراد البشر.. لأن الأدب منبع لكل تلك المعارف، لا فئران تجارب، يجرى عليها الباحثون فى علم الاجتماع أو علم النفس أو غيرهما تجاربهم القاتلة، وذلك هو ما استقر عليه كبار أساتذتنا، الذين تعلمنا عليهم فى الجامعات العالمية. فقد أخذنا عنهم أن لكل فرع من فروع الدراسة منهجه الخاص، النابع من طبيعته، والمنطبق على مادته الأولى وهى اللغة فى حالة الأدب، وقيمها الجمالية، ومدى ارتباطها بالقيم الإنسانية...ثم يقول: وعندما نستقرئ الدراسات الأدبية التى ظهرت فى الفترة الأخيرةمن حياتنا، نرى أن الدراسات التى انحرفت عن المنهج الأدبى المتكامل، قد خرجت فى الغالب الأعم عن مجال الأدب ودراسته إلى مجالات أخرى، قد تكون نافعة فى ذاتها، ولكنها لا تدخل فى الأدب ونقده ودراسته. ثم ينتهى إلى هذه النتيجة فيقول: ولعل الحقيقة قد كانت أوضح ما تكون فى الدراسات، التى صدرت عما يسمونه بالمنهج النفسى أو النفسانى، سواء فى ذلك: منهج علم النفس أو منهج فن النفس كما يقول الشيخ محمد خليفة التونسى. أهـ[٢].

ويؤكد على هذه الحقيقة ويوضحها أكثر الأستاذ/ لانسون فيقول: لقد كان تقدم علوم الطبيعة خلال القرن التاسع عشر، سببا فى محاولة استخدام مناهجها فى التاريخ الأدبى غير مرة، وذلك أملا فى إكسابها ثبات المعرفة العلمية، وتجنيبها ما فى تأثرات الذوق من تحكم، وما فى الأحكام الاعتقادية من مسلمات غير مؤيدة- كما حول صاحبنا هنا- ولكن التجربة قد حكمت بإخفاق تلك المحاولات. وأقوى العقول هى التى انزلقت

١- انظر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسى للدكتور/ فرج عبد القادر طه وآخرين (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣- دار سعاد الصباح- الكويت) ص ١٧٨، ١٨٠، ١٨١.
٢- انظر: النقد والنقاد المعاصرون تأليف الدكتور/محمد مندور(مطبعة نهضة مصر- القاهرة)ص١٥٣-١٥٦

إلى الثمل باكتشافات العلم الكبيرة. أقول هذا وأنا أفكر فى (تين) و(برونتيير) اللذين أصبح من الواضح اليوم، أن قصدهما إلى محاكاة عمليات العلوم الطبيعية والعضوية، واستخدام معادلاتها قد انتهى بهما إلى مسخ التاريخ الأدبى وتشويهه. ثم يفرغ إلى هذه الحقيقة الناصعة فيقول: لا يمكن أن يبنى أى علم على أنموذج غيره، وإنما تتقدم العلوم المختلفة، بفضل استقلال كل واحد منها عن الآخر استقلالاً لا يمكنه من الخضوع لموضوعه. ثم انتقد فردنان برونتيير؛ لأنه اعتقد بمبدأ النشوء والارتقاء، وطبقها على الأدب ثم يقول: وقد طبقها من قبله "سبنسر" على الأخلاق والاجتماع وإعتقاده بمبدأ النشوء والارتقاء، ومذهبه فى النقد الأدبى والسياسى والاجتماعى والدينى، فحاد عن الاستقراء المشروع. أهـ[1].

والمؤلف هنا- وهو يجمل الهوية الإسلامية- قد ارتضى لنفسه أن يفسر النص القرآنى بهذا المذهب النفسانى السقيم، الذى نبذه أرباب البلاغة وأعيان الأدب، فما ظنك بالقرآن الكريم، علت كلماته عن هذا الإفتئات الظلوم، والهذيان الغشوم.

وعن منهج التحليل والتركيب يقول (يول موى): إن التحليل بالنسبة إلى الطبيعة الرياضية، هو بمثابة الاستقراء بالنسبة إلى الطبيعة التجريبية، ولنضف إلى ذلك أنه إذا كان التحليل عملية مادية، فهو فى البدء عملية رياضية، وفى هذه المسألة نجد أن التحليل المادى مكمل للتحليل الرياضى وفضلا عن ذلك، فالتحليل تقابله عملية مكملة، هى التركيب، الذى يقف إزاء التحليل نفس موقف الاستنباط إزاء الاستقراء، وقد وضع جاليليو وديكارت أسس علم الطبيعة الرياضى، فإلى جانب الطبيعة الرياضية بمعناها الصحيح، يوجد دائما علم للطبيعة يسمى بالتجريبى؛ لأن قوامه أساسا تجارب تهدف إلى الكشف عن الخواص، وإثباتها وإظهارها ثم يقول: فالطبيعة التى تدرس لتلاميذ لم يتعمقوا العلوم الرياضية بعد، هى طبيعة تجريبية"[2]. وهى التى ينتهجها عبد الهادى عبد الرحمن هنا.

١- انظر النقد المنهجى عند العرب للدكتور/ محمد مندور، ومنهج البحث فى الأدب واللغة مترجم عن الأستاذين لانسون ومايبه (دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة) ص ٣٩٣-٤٠٦.

٢- أنظر: المنطق وفلسفة العلوم تأليف/ بول موى ترجمة الدكتور/ فؤاد زكريا (مكتبة دار العروبة- الكويت سنة ١٤٠١هـ، سنة ١٩٨١م) ص ٣٨٨.

وأما المنهج التشومسكى الذى استخدمه فى اللغة، فتقول عنه الدكتورة/ جودث جرين: نظرية تشومسكى تبين نقطة مهمة، وهى أن لكل جملة بنية سطحية وبنية عمقية، وحجة تشومسكى فى ذلك، أنه من المستحيل الإتيان بقواعد تطابق[1] أو تماثل كفاية المتحدث الأصلى للغة فى علاقات المعنى عن طريق النظر فقط، إلى البنية السطحية للجمل، أى الترتيب الذى تظهر به الكلمات فى الجملة وتقول: استشهد تشومسكى بثلاثة أنواع من الأمثلة هدفت جميعا إلى توضيح ما قد يبدو لنا للحظة الأولى وضعا شاذا وغريبا، وهو أن الترتيب السطحى الحقيقى للكلمات فى الجملة، قد يحرف أو يشوه. فعلاقات المعنى الباطنى الأساسى الذى تقوم عليه الجملة نفسها، ولكن كل من يتحدث الإنجليزية يعرف أن العلاقات الباطنية للمعنى فيها لا تختلف ثم تقول -عن هدف "تشومسكى" من هذه النظرية-:

لان "تشومسكى" منذ بداية طرحه لنظريته، يؤكد على أن هدف النظرية اللغوية، يجب أن يكون تفسير قدرة متحدث اللغة على إنتاج أو صنع عدد غير نهائى من الجمل الممكنة فى اللغة التى يتحدثها"[2]. ونحن بدورنا نسأل وهل تحتاج لغتنا الثرية بمفرداتها ومترادفاتها واشتقاقاتها ومجازها، وكناياتها إلى شئ من ذلك، وإذا كان هذا ينطبق على اللغة الإنجليزية وهذا كان هدفه- أو على أى لغة أخرى، فإنه بالضرورة لا ينسحب على لغتنا بحال.

١- فالبنية السطحية للجملة يجب أن تخضع للبنية العميقة، لأن الأولى قاصرة بألفاظها، وأما الثانية العميقة فتظل مفتوحة دون قيد أو حد، لمروق العلمانيين والملاحدة وانحرافاتهم!!

٢ - أنظر التفكير واللغة تأليف الدكتورة/ جودث جرين ترجمة الدكتور/ عبد الرحمن عبد العزيز العبدان (دار عالم الكتب- الرياض سنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م) ص ١٤٦ وما بعدها.

الرد التفصيلى على هذا المنهج أثناء التطبيق

أولا: "رأيه فى ترتيب القرآن"

يبدأ الدكتور/ عبد الهادى توضيح منهجه ورؤيته للقرآن من حيث ترتيب موضوعات القرآن كما جاءت أو ترتيب السور فى القرآن، سواء كان ترتيبا نزوليا أو مصحفيا، وكذلك ترتيب الآيات فى سورها، فيقول: هى قراءات عرضية لا تعنى برتيب النص الدينى فى إطار موضوعات محددة.. أو فى إطار ترتيب السور أو الآيات، كما جاء بها القرآن الكريم"[١]، وهو لم يعن بهذا الترتيب، وإن كان بعضه كترتيب الآيات فى سورها، ومعها الموضوعات، قد جاءت عن طريق التوقيف عن المعصوم ﷺ الله عليه وسلم؛ لأن القرآن عنده كما يقول: "للتبسيط التطبيقى، استطاع العرب فى مكة إعادة إنتاج كل الثقافات الوثنية والتوحيدية للمنطقة فى عملية تمركز ثقافى واسعة.. فخرجت للعالم بالإسلام!!"[٢].

ثانيا: رأيه فى تركيب السور الصغيرة والآية القرآنية:

يقول: "نسوق تطبيقا عمليا لتبيان نصوص السورة القرآنية، باعتبارها عدة بنيات مركبة وليست بنية واحدة، وكل بنية مركبة تتألف من وحدات أصغر، هى الآيات. الآيات هى آيات، ليست شعرا، وإن اقتربت أحيانا من الشعر، وليست نثرا، وإن اقتربت أحيانا من النثر، تميزها نهايات مسجوعة، وبالوصول إلى هذه النهايات، نستطيع أن نقول: بأن بنية لغوية مركبة قد انتهت، لتبدأ بنية لغوية مركبة أخرى.. بداخل كل بنية لغوية مركبة بناءات موضوعية متعددة، يمكن تشبيهها بدوائر صغيرة، تلاصق دوائر أخرى، ثم فى النهاية يحصرها جميعا إطار لغوى واحد، يبدأ بالنهاية المسجوعة، وينتهى عندها أيضا. فالآية تبدأ من معنى وتدور حوله، ثم تعود إليه مرة أخرى ثم يعلل ذلك بقوله: نزل القرآن العظيم!!متفرقا، أى آية آية، أو آيات آيات، أو سورا قصيرة، وفى أزمنة مختلفة متباعدة؛ ولهذا لا يمكننا-إجمالا- التعامل مع السورة القرآنية كوحدة واحدة، وإنما باعتبارها عدة بنيات مركبة، كل بنية مركبة تتألف من وحدات أصغر، وتتجلى هذه البنيات فى تركيبة النص، ورصفه موضوعا ولغة وبيانا"[٣]. ونقول له: يهمنا من هذا النقل الطويل أمران:

١- سلطة النص ص ١٨، ١٩.
٢- سلطة النص ص ٩.
٣- سلطة النص ص٩١، ٩٢.

سنتوقف عندهما لأهميتهما -والباقى تناولنا أكثره فيما سبق- أحدهما: وصفه للآيات بأنها ليست شعرا، وليست أيضا نثرا. والثانى: إنتفاء الموضوعية عن السورة القرآنية الصغيرة.

يجدر بنا أولا أن نتوقف معه على وصف القرآن بأنه ليس شعرا، ولا نثرا، وهى مقولة للدكتور/طه حسين يقول فيها: إن القرآن ليس نثرا، كما أنه ليس شعرا، إنما هو قرآن، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم. وعلل ذلك بقوله: ليس شعرا، وهذا واضح؛ فهو لم يتقيد بقيود الشعر. وليس نثرا؛ لأنه مقيد بقيود خاصة به، لا توجد فى غيره، وهى هذه القيود التى يتصل بعضها بأواخر الآيات، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة، فهو ليس شعرا ولا نثرا"[١]. وهذه سقطة هائلة، بل هى مغالطة كبيرة، والأحرى أن تقول: هذه مقدمة براقة خادعة بل ومريبة تهدف فيما تهدف إليه إلى سلخ لغة القرآن عن اللغة العربية، ثم جعلها لغة خاصة بالدين فقط، معزولة عن اللغة الأم، لغة العلوم والفنون. وهذه الدعوة الخبيثة نبتت فى حضن الاستشراق، وتبناها الدكتور/ طه حسين، ونفخ تحت رمادها حتى لاقت رواجا وترحيبا عند العلمانيين-كما رأينا- وسنعرف ذلك بوضوح أكثر- ولكن هذه الدعوة يصادمها، بل ويناقضها أشد مناقضة،إجماع أهل العربية على أن الكلام ينقسم إلى قسمين إثنين لا ثالث لهما، وهما: الشعر والنثر. يقول قدامة بن جعفر: اعلم أن سائر العبارة فى كلام العرب، إما أن يكون منظوما، وإما أن يكون منثورا. والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام.. ثم يقول: وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا"[٢]. بل إن ابن رشيق القيروانى يقول: ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر، الطاعنين على الشعر، يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور، وأن النبى ﷺ غير شاعر؛ لقول الله تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغى له"[٣].. ثم قال: لأن الله تعالى إنما بعث رسوله أميا غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك، حيث استوت الفصاحة، واشتهرت البلاغة، آية للنبوة، وحجة على

١- أنظر من حديث الشعر والنثر تأليف الدكتور/ طه حسين (دار المعارف- القاهرة- الطبعة العاشرة- بدون) ص٢٥.
٢- نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر (دار الكتب العلمية- بيروت- بدون) ص ٧٤، ٩٣.
٣- يس آية: ٦٩.

الخلق وإعجازا للمتعاطين، وجعله منثورا؛ ليكون أظهر برهانا"[١]. وفى هذا السياق يقول ابن الأثير: والمنثور منها أشرف من المنظوم لاسباب: من جملتها أن الإعجاز لم يتصل بالمنظوم، وإنما اتصل بالمنثور"[٢]. ولعل الأستاذ/ طه أحمد إبراهيم كان أصدق لهجة، وأرهف حسا، وأنقى مخبرا حين قال: وحسبنا فى هذا المقام أن نقول: إن القرآن تحدى العرب ببلاغة نظمه، وإن عجزهم عن الإتيان بمثله، حملهم على أن يقروا أن هناك كلاما أبلغ من كلامهم، وإن كان من جنس هذا الكلام"[٣].

بل إن الدكتور/ زكى مبارك يقول: إننا لنرى المؤلفين فى علوم البلاغة من رجال القرن الثالث والرابع والخامس يرجعون إلى القرآن، فيأخذون منه الشواهد المتنوعة، التى يعز وجودها أحيانا فى الشعر والنثر عند الكتاب المتأخرين.. ثم يؤكد، أن صور النثر العربى لا ينبغى البحث عن أصولها فى القرن الثانى والثالث، وإنما ينبغى الرجوع إليها فى القرآن"[٤].

على أن الدكتور/ طه حسين نفسه قال عن لغة القرآن الكريم قبل ذلك-فى وقت سابق- فى كتابه: "فى الشعر الجاهلى": وليس من اليسير بل ليس من الممكن، أن نصدق أن القرآن كان جديدا كله على العرب. فلو كان كذلك لما فهموه ولا وعوه.. إنما كان القرآن جديدا فى أسلوبه جديدا فيما يدعو إليه، ولكنه كان كتابا عربيا؛ لغته هى اللغة العربية الأدبية، التى كان يصطنعها الناس فى عصره، أى فى العصر الجاهلى"[٥]. ولكن يبدو أنه كان يمهد لمقولته تلك، وأنه كان يصطنع خصومات وهمية للقرآن الكريم لا أساس لها، إلا ما يبيته للنيل من كتاب الله؛ ولذلك تعقبه المرحوم/ محمد الخضر حسين- وغيره- بقوله: يضع فى ذهن القارئ أن

١- أنظر: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده. تأليف: أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد (دار الجيل- بيروت- بدون) ١/٢٠.

٢- أنظر: المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق وتعليق/ الدكتور/ أحمد الجوفى والدكتور/ بدوى طبانة (دار نهضة مصر- القاهرة- بدون) ٥/٤.

٣- أنظر: تاريخ النقد الأدبى عند العرب تأليف المرحوم/ طه أحمد إبراهيم (دار القلم- بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) ص٣٤، ٣٥.

٤- انظر: النثر الفنى فى القرن الرابع تأليف الدكتور/ زكى مبارك (دار الجيل - بيروت- بدون) ١/٥١-٥٣.

٥- انظر: فى الشعر الجاهلى تأليف الدكتور/ طه حسين (دار الكتب المصرية- القاهرة- ط أولى سنة ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦)، ص ١٦، ١٧.

أحدا من الناس قال: كان القرآن جديدا كله على العرب، وأن هذا القائل هو الذى وثب عليه المؤلف بالتكذيب.. فخير له من هذا، أن يريهم الطعن فى أقوال حقيقية، وآراء لا تزال قائمة"[١]. بل ومن الممكن أن نزعم لأنفسنا، أن الذى أوحى بهذه الفكرة، وكشف عنها، وهى انفراد أسلوب القرآن الكريم وتميزه عن سائر أنواع كلام العرب، هو العلامة: عبد الرحمن ابن خلدون، قبل أن يتنبه إليها الدكتور/ طه حسين، ومن سبقه إليها من المستشرقين، ومن تبعه فيها من المستغربين. ولكن ابن خلدون كان يريد جانبا، وهم كانوا يتوجهون إلى غيره، كان يشدو ببلاغة القرآن، وينبه على مواضع إعجازه، ويشير إلى آيات الحسن وينابيع البيان فى مده وسكونه. وهم كانوا يشككون فى لغته!. يقول ابن خلدون- بعد أن قسم الكلام إلى نوعية المعروفين: الشعر والنثر، وبعد أن قسم الشعر إفى فنونه وأغراضه- قال عن النثر: فمنه السجع، الذى يؤتى بها قطعا، ويلتزم فى كل كلمتين منه قافية واحدة، يسمى سجعا. ومنه المرسل، وهو الذى يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها. وأما القرآن وإن كان من المنثور، إلا أنه خارج عن الوصفين أى ليس سجعا وليس مرسلا- وليس يسمى مرسلا مطلقا، ولا مسجعا، بل تفصيل آيات، ينتهى إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام فى الآية الأخرى بعدها، ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية.."[٢]. ويبقى أن نقول مع سيد قطب والدكتور/ صبحى الصالح: فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة، والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن التفاعيل، والتقفية التى تغنى عن القوافى[٣].

وأخيرا نقول: ترك القرآن فى اللغة أثرا عاما، وأثرا خاصا، فالأول: ما كانت اللغة بجملتها مظهرا له، كحفظها من الزول. وأما

١- أنظر: نقض كتاب فى الشعر الجاهلى تأليف: محمد الخضر الحسين (المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة)، ص ٤٣، ٤٤.

٢- أنظر مقدمة ابن خلدون تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتحقيق الدكتور/ على عبد الواحد وافى (دار نهضة مصر- القاهرة- ط ثالثة بدون) ٣/١٢٩٥/١٢٩٦.

٣- أنظر: التصوير الفنى فى القرآن تأليف: سيد قطب (دار المعارف- الطبعة الحادية عشرة، س١٩٩٤م)، ص ٨٦ ومباحث فى علوم القرآن تأليف الدكتور/ صبحى الصالح (دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة السابعة عشرة، سنة ١٩٨٨)، ص٣٣٤.

الثانى: ما كان لفظ اللغة أو معناها مظهرا له. فالقرآن لو كان قد أثر فى ألفاظ اللغة وحدها، وأبقى أغراضها ومعانيها لقيل: هو تأثير فى ألفاظ اللغة. ولو أثر فى أسلوبها، وأبقى غيره، لقيل: إنه تأثير فى أسلوب اللغة، ومثل ذلك المعانى والأغراض، فتسميه ما لحق كل واحد من اللفظ والمعنى والغرض والاسلوب يسمى تأثيرا خاصا، ولكن بقاء اللغة إلى الآن، وتوحد لهجاتها، وجعلها لغة رسمية فى جميع الممالك التى دخلها الإسلام، فضلا عن جعلها لغة تعليمية بعد أن كانت ملكة راسخة، ولم يتم ذلك بقوة السلطان- كما يزعم صاحبنا- فقد رأينا نفوذ العرب أخذ يضعف فى منتصف القرن الثانى الهجرى، بل رأينا النفوذ الإسلامى نفسه يضعف حتى سقطت بغداد فى يد التتار، وبقيت اللغة. إذن ليس تأثيرا خاصا، ولكنه تأثير فى جميع ما ذكر. ولعل هذا هو سر مهاجمة الإلحاد للغة، والتشكيك فى ماضيها، فإن بقاءها راجع إلى الدفاع عن القرآن؛ لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها؛ لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى أن القرآن من عند الله، لا من عند محمد وأصحابه[١].

فكل ما سبق رد على الدكتور/عبد الهادى وعلى الدكتور/ طه حسين معا؛ لأن الثانى متبوع والأول تابع باللفظ والمعنى، ثم إن الدكتور/ عبد الهادى وصف نظم القرآن هكذا فقال: لا يشبه نظم القرآن إلا "البها فاجيتا" وهو نص مقدس عند الهندوس، جاء متأخرا على شكل آيات مختصرة" وللرد عليه نقول : هذه قاصمة كبرى، نشأت عنده من الجهل أو من التجاهل؛ لأن كتب العقيدة عند الهند، سواء منها القديم ، أو الذى تلاه، لا يرتبط بأوهى شبه ، ولو بخيط العنكبوت !! عند المبتدئ فضلا عن هذا الذى جعل من نفسه ناقدا لنظم القرآن وتركيبه . فإذا نظرنا إلى ما جاء فى كتاب الفيدا- وهو أقدم نص عندهم- نرى فيه : "إننى أنا الله" نور الشمس ، وضوء القمر ، وبريق اللهب ، ووميض البرق .. الخ".

فهذا لا يشبه نظم القرآن فى شئ، وإنما هو أنا شيد دينية يتغنى بها الهندوس[٢]. وإذا كانت البرهمات- وهى من كتب الهنود -من منثور القول ، فإن الحال فيها أيضا لا يختلف . وليس كل هذا مقصودنا ولا ما أراد المؤلف - وإن كان هذا على وضعيته وعضته أشبه بما أراد - على أنه ذكر إسم كتاب ليس عندهم ، وهو البها فاجيتا ولعله يقصد بالبها

١- انظر: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية تأليف/ أحمد حسن الباقورى (دار المعارف- ط رابعة- بدون) ص ٢٦ وما بعدها.
٢- سلطة النص ص٧١.

فاجيتا: بهغافادجيتا Bhagavadgita وترجمتها الحرفية: "أنشودة الإلة". وهذا هو الواضح - ولكنه إفتقد الدقة- وهى تكون قسما من الملحمة الكبرى: المهابهاراتا[١] .وتعد ملحمة المهابهاراتا من أعظم ملاحم الهند على الإطلاق ، وشهرتها عند الهنود كشهرة الألياذة والأوديسة عند الإغريق . والملحمة عبارة عن قصيدة بطولية تتألف من مائة ألف بيت من الشعر[٢] . وهى مركبة من كلمتين "مها " أى العظيم ، " بها راتا" أى الهند. وهى تمثل تاريخ الحرب الكبرى التى وقعت فى الهند. وهى قصة تاريخية، لاندرى صحتها، وقعت بين أسرة ملكية بسبب امرأة تسمى" دروبدى" . وانتهت بفوز أحدج الفريقين[٣] . فهى قصص شبه حربية، مخلوطة بمشاهد أسطورية، ومقالات أخلاقية[٤] . وتحتل الملاحم الهندوسية منزلة القداسة، وتشكل الرديف للكتب العقدية. وأهم الملاحم الهندوسية أربع هى: المهاباراتا ، وغيتا ، وهى - كما سبق- تابعة أو جزء من مهابهاراتا، ويوغا فستى، ورامايانا. وهذه الملاحم ملكية عامة لجميع المذاهب الهندية. وإذا كانت مهابهاراتا قام بتأليفها "وياس" وقام بتدوينها" كنيتى" تلميذ وياس"[٥] حوالى ٩٥٠ ق. م، فإن مؤلف بهغافادجيتا يعتقد أنه كرشنا، أحد القديسين الهندوس وتعد هذه الرواية من الروافد المهمة لفهم العقيدة الهندوسية، والجوانب الفلسفية والاجتماعية فيها. وأهم المقاطع التى تضمنتها جيتا الحوار الذى جرى بين القائد البطل أرجنا والفيلسوف كرشنا، عند بدء القتال بين الحزبين المتحاربين وقد جاء فى هذا الحوار: قال أرجنا للحكيم كرشنا: "سيدى! أرى أمامى أقاربى الأعزاء وأصدقائى القدماء ، ففيهم الأخ وابن الأخ ، والخال وابن الخال ، والعم وابن العم فيهم الأبناء والأحفاد، وفيهم الشيوخ الذين نشأت على تبجيلهم ، أراهم أمامى وقلبى يرتعد ، ويدى ترتعش، وأشعر بحلقومى كأنه قد جف .."[٦].

١- أنظر : المعجم الموسوعى للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل فى العالم تعريب وتصنيف وتقديم الدكتور/ سهيل زكار (دار الكتاب العربى - دمشق - ط أولى سنه ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م) ١/ ١٩٣.
٢- أنظر : الديانات الوضعية الحية فى الشرقين الأدنى والأقصى تأليف الدكتور/ محمد العريبى (دار الفكر اللبنانى- بيروت - ط أولى سنه ١٩٩٥م).
٣-أنظر : فصول فى أديان الهند تأليف الدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمى (دار البخارى- المدينة المنورة- ط أولى سنه ١٤١٧ هـ- سنه ١٩٩٧م.
٤- المعجم الموسوعى جـ ٢/٨٣٥.
٥-قام عبد الحميد النعمانى بترجمة "مها بهارتا" إلى اللغة العربية.
٦-سس أنظر : الديانات الوضعية الحية للدكتور/ محمد العريبى ص ٢٠، ٢٤.

فهل هذا الكلام فى نظمه يشبه نظم القرآن الكريم ؟!!! أعتقد أنه لا يزعم هذا التشابه أحد رزق مسكة من العقل.... والأمر أوضح وأجلى من أى تعليق؟!!! فإن أراد به كتاب الفيدا الذى جاء فيه: "إننى أنا الله، نور الشمس، وضوء القمر، وبريق اللهب، ووميض البرق.. الخ. "فلا يشبه نظم القرآن فى شئ، وإنما هو أناشيد دينية يتغنى بها الهندوس[١]. وإذا أراد به "البرهمات" فهى كتب من منثور القول، وهى من كتب الهنود[٢] والحال لا يختلف.

وأما ثانى الأمرين وهو: انتفاء الموضوعية عن السورة القرآنية الصغيرة فنقول له: لجأت إلى عملية تفكيك النص القرآنى داخل السورة الصغيرة الواحدة ومزقت أوصاله؛ لأن لك قناعة خاصة بك، تتمثل فى انعدام الوحدة الموضوعية فى سور القرآن الكريم، سواء من حيث الموضوع، أو من حيث اللغة، أو من حيث البيان؛ وبذلك تكون قد خالفت الحقيقة، وجانبك الصواب، وركبت متن الجهل حتى كشف عن سوء بضاعتك، وقلة مائك، لأنك عمدت إلى علم من العلوم المعتبرة فمحوت أثره، سواء كان ذلك عن عمد أو جهل وهو علم التفسير الموضوعى، وهذا أولا. وأما ثانيا: فإن من أقسام التفسير الموضوعى: الوحدة الموضوعية لسور القرآن سورة سورة. ذلك أن لكل سورة من سور القرآن الكريم، ما يميزها عن غيرها، ويوضح شخصيتها، ويرسم قسماتها وملامحها، سواء كانت مكية أو مدنية. ثم إن سور القرآن على اختلاف أنواعها، طولا وقصرا وتوسطا مهما تعددت الموضوعات الواردة فى كل منها، وتنوعت وتواردت، فإن لكل سورة- مع ذلك- موضوعا كبيرا أو رئيسيا يشغلها، أو قل بالأحرى: لكل سورة محور واحد تدور فى فلكه، أو أكثر من محور دون أن تتصادم أو تتناقض، وباقى موضوعات هذه السورة أو تلك، تخدم هذا الغرض وتمهد له[٣]. ثم يقول الدكتور/

١- أنظر: الملل والنحل للشهرستانى تحقيق/ محمد سيد كيلانى (مطبعة: مصطفى البابى الحلبى ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م)، ج٢/١٠. وانظر: الدين والفلسفة والعلم تأليف السيد محمود أبو الفيض المنوفى ص٤٢-٧٥.

٢- أنظر: مقارنات الأديان الديانات القديمة تأليف/ محمد أبوزهرة (دار الفكر العربى. القاهرة سنة ١٨٩٨هـ، ١٨٧٤م)، ص٤٥. وانظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ج١/٢٣٥، وما بعدها (دار الكتاب العربى- بيروت - ط عاشرة).

٣- إقرأ فى هذا الغرض: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى (دار الكتاب العربى-بيروت. ط عاشرة) والوحدة الموضوعية للدكتور/ محمد محمود حجازى، مباحث فى التفسير الموضوعى للدكتور/ مصطفى مسلم وغيرها وهى كثير.

عبدالهادى- فى مغالطة كبيرة-: إن تواصل الأضداد يقرب المسافات.. أى أن الوحدة، كما أنها تنشأ من التناسق، يمكن أن تتبنى على مجموعة من الأضداد اللغوية"[١]. ولكن "لا جوس أجرى" يقول: وحدة الأضداد،هذه عبارة من العبارات التى يطبقها أناس كثيرون تطبيقا خاطئا أو غير مفهوم. ثم مثل لها بمثال هو: هل يستطيع واحد منا أن يتخيل قيام تصالح، أو تقارب، أو تراخ بين جرثومة مرض مميت، وبين كرية من كريات الدم البيضاء فى جسم آدمى؟ كلا، بل لابد من قيام معركة بينهما، تنتهى بموت إحداهما، أو موتهما معا؛ لأن كلتيهما مكونة تكوينا يحتم أن تقضى إحداهما على الأخرى، إذا أرادت أن تحيا، وليس لإحداهما خيار فى ذلك"[٢].

ثالثا: رأيه فى سور القرآن الكبرى

يقول المؤلف: "وتبدو السور الكبار، وكأنها تشكل بنى دائرية صغيرة وكبيرة فى آن واحد، عكس كثير من النصوص الأدبية، من مسرح، ورواية، وشعر، حيث يتصاعد النص متواترا،إلى أن يلقى بحممه فى إطار الضغط المتنامى، ثم التفريغ"[٣]. وهذه مغالطة أخرى؛ لأنه هنا صور السورة القرآنية بصورة النص المسرحى، عكس ما يقول ويوحى. يقول "لاجوس اجرى": الصراع الصاعد-أى فى المسرحية- يعنى مقدمة منطقية واضحة، بارزة المعالم. ووحدة أضداد وشخصيات توافرت لها أبعادها الثلاثة، أعنى مقوماتها الثلاثة: الجسمانية والنفسية والاجتماعية، ومن السهولة بمكان القول بأن فى العاصفة لونا من ألوان الصراع، إلا أن الذى نسميه عاصفة أو إعصارا، إن هو فى الحقيقة إلا "ذروة" لأنه نتيجة لمئات بل آلاف من ألوان الصراع الصغيرة، كل منها أكبر من الآخر، وأشد خطورة، إلى أن نصل إلى الأزمة-الهدوء الذى يسبق العاصفة- فإما أن تمر العاصفة، وإما أن تثور بكل عنفها[٤].

ولا ملام علينا هنا أن تعقبناه فى أحرج المسالك وأدقها، حتى ينكشف خداعه للناظرين.

١- سلطة النص ص ٩٠، ٩١.

٢- أنظر: فن كتابة المسرحية تأليف: لاجوس أجرى ترجمة: دريني خشبة (مكتبة الأسرة- القاهرة، سنة ٢٠٠٠) ، ص٢٣٥، ٢٣٦.

٣- سلطة النص، ص٩٢.

٤- فن كتابة المسرحية، ص٣١٤-٣١٥.

رابعا: "موقفه من أسباب النزول"

يقول المؤلف: سنضفى على النص ما نريد قوله نحن -!!- أى سنجعله معاصرا بالنسبة لنا، ولن نستطيع جعله معاصرا لنفسه إلا قسرا. إذن يستدعى الأمر استخدام أداة جديدة، تدعم أداة التفكيك البنيوى، التى شرحها لنا الجابرى، وهى أداة تهتم بآليات مجئ النص نفسه. وهى آليات لحظة تاريخية ما جاء النص فى سياقها. بمعنى آخر سبب نزول النص على لسان النبى، أو على لسان راويه. وفى تلك الحالات،سنحدد ظروفه وأهدافه وملابساته"[1].

ولنا عليه عدة ملاحظات: إحداهما: أن سبب النزول ليس أداة جديدة كما يزعم، بل هو دعامة أساس من دعائم التفسير، لا يفهم النص القرآنى حق الفهم، ومن جميع جوانبه إلا بمعرفتها والأخذ بها، فمن فوائد أسباب النزول: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب. ومنها: الوقوف على المعنى يقول أبو الفتح القشيرى: بيان سبب النزول، طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا. ومنها: أنه قد يكون اللفظ عاما، ويقوم الدليل على التخصيص؛ فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد والإجماع. إلى غير ذلك[2].

الملاحظة الثانية: نشتم من قوله: سنضفى على النص ما نريد قوله نحن "روائح كريهة، منها سوء الأدب مع القرآن، ومنها التعسف والإكراه والقسر، ومنها الخيانة والكذب وعدم التجرد، والخروج على آداب البحث العلمى وشرائطه، التى طالما تغنى بها فى بداءة كلامه. ومنها عدم الفهم بل الجهل المزرى بحقيقة فهم مدلولات القرآن وإشاراته وتوجيهاته؛ لأن العصرنة التى يزهو بأنه يجدد بها مفهوم القرآن موجودة، ووضاءة، ولكنه عمى وهو وأضرابه عن رؤيتها، فخطاب القرآن كان للرسول ﷺ الله عليه وسلم وأصحابه، ومن تبعهم، وهو خطاب لنا فى عصرنا الآنى، وهو أيضا خطاب لمن يأتى بعدنا إلى يوم القيامة، من غير استخدام لأدواته وآلياته المعطوبة، التى لا تعدل شروى نقير، أليست الرسالة عامة وباقية إلى يوم الدين، وناسخة لما عداها؟!! ولكنهم عمى لا

١- سلطة النص ص ٥٠.

٢- أنظر: البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج١/٤٥/٤٦، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج١/٢٨/٢٩.

يبصرون، وصم لا يسمعون، وجاحدون لا يؤمنون. وأما هذه الأداة التى يزعم، أنه زاد بها على الجابرى، هل استمسك بها حقا؟ أم أنها الدعاية الجوفاء، والتقول الرخيص فى كلام الله بغير علم، وكأنه اكتشف بابا جديدا من أبواب العلم والمعرفة لم يسبق إليه، وسجل فتحا جديدا يتيه به بين الأقران. الحقيقة أنه فى أغلب الأحيان يعمد إلى طرح سبب النزول والاستغناء عنه، مهما صح سنده وصح متنه، فصحتهما عنده ليس سببا كافيا فى الأخذ به؛ولذلك يقول: "بل الأهم تحقق وحدة الموضوع، ووحدة الصياغة اللغوية وتقارب النهاية الواحدة، ترجح أن تقسيم كل جزء بسبب النزول، أمرا متكلفا، لا يتسق مع اتساق الآيات وانسجامها"[1]. وهكذا لا تجده يتماسك تحت أى مسمى من مسمياته، وهذا ضرب من ضروب المراوغة والحيلة، ولون من ألوان المكر والدهاء والتغرير، ينتقل بك من أمر مسلم عندك، لا شية فيه، إلى أمر ملتبس شائك، إلى ما يريد أن ينقلك إليه، فى غير فجاجة ولا سفور، ولا يكشف لك عن وجهة الحقيقى من أول وهلة، حتى لا يعتريك النفور والاشمئزاز وتزور عنه.

خامسا: موقفه من اللغة

يقول المؤلف: "فإذا أردنا أن نعصرنه أى نجعل النص معاصرا لنا، علينا أن نذهب إذن فى اتجاهات شتى، وحينئذ لن تخدمنا اللغة وحدها إلا قسرا أو تعسفا أو استكراها. وقد كشفت تلك المعالجة النصية عن جوانب أخرى فى النص، وهى جوانب اجتماعية وتاريخية ونفسية وهى تحتاج لأدوات مختلفة غير لغوية"[2].

هل هذا إلا الشذوذ بعينه؟! بل إن الشذوذ بمدلوله اللغوى ليستحى أن يكون سمة لهذا أو قبيله، فهو يعبر عن وجه ضعيف فى اللغة ولكنه مشروع، وله أصل. أما هذا الذى يضرب باللغة، لسان القرآن عرض الحائط؛ فلا يفهم القرآن إلا بها، ولكنه يمهد لأمر آخر يجيده، فاللغة لا تعنيه وهو ليس منها فى شئ، فإنه يوطئ موضعا لنعله الملوث أن يجوس به خلال الوادى المقدس، غير نظيف الثوب ولا طاهر القلب، ولا وضيئ النية!! جاء ليجرب هذه المناهج-وقد بلوت خبرها وسرها- التى لا تصلح أن يختبر بها سلوك قرد أو خنزير، ويجعل منها أدوات ومفاتح لفهم كتاب الله المنزل، وهنا بيت القصيد الذى جعل يقدم له ويمهد من أجله، فجعبته خاوية مما يقتات به وينتفع، حاشا هذا الحسك، الذى يمر به على خالص

١- سلطة النص ص ١٠٦.

٢- سلطة النص ص ٥٦.

الديباج والحرير.. وما علينا بعد ذلك أن نقدم مثالا لتفسيره بعض آيات القرآن الكريم، حتى نقف على تطبيقه لمنهجه أو مناهجه، التى أوهم بها أنها تكاد تخرق الأرض أو تبلغ الجبال طولا، ولنرى ثمرة هذا الغراس، ونوع هذه الثمرة!!

المبحث الثالث

"مثال تطبيقى من تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم والرد عليه"

يقول الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن: "وفى نفس الاتجاه، تبدو الدلالات النفسية قوية الوضوح، فى سورة "القلم". حيث يقول تعالى: "ن. والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون. وإن لك لأجرا غير ممنون. وإنك لعلى خلق عظيم".

كفار مكة اتهموا محمدا بالجنون؛ ولذا تابع القرآن رد الفعل قائلا فى غضب: "ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم. أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. سنسمه على الخرطوم[1].

لقد روى أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة. والمطلوب أن تقرأ الآيات عدة مرات؛ لترى تسع صفات بشعة يحملها إنسان واحد على كتفيه، فهو حلاف حقا وباطلا، وهو حقير، طعان، نمام، بخيل، عدو للخير، معتد أثيم، عتل أكول شروب، جلف زنيم، يجمع النقائص كلها، وذلك لأنه قال عن القرآن: أساطير الأولين، ولذا سنكويه على خرطومه أى: أنفه، بمعنى أنه بالإضافة إلى كل تلك الصفات، حيوان ذو خرطوم!!

هل هذه نفثة غضب؟!! إنها أكبر من ذلك بكثير، فهى تحمل فى ثناياها أيضا، كراهية ومقتا شديدا!! فالآخر ليس مجرد مختلف فى الرأى، وإنما هو ساخر بمحمد "ما أنت... بمجنون"، "قال أساطير الأولين"؛ ولهذا ردت السخرية بإهانات غاضبة، محملة بغل شديد!! حيث يعبأ شخص واحد بكل تلك الصفات القاسية البشعة!! فهو فى عرف القرآن، ليس مجرد إنسان شرير فقط، بل هو حيوان حقير!! "سنسمه على الخرطوم" والخرطوم للحيوان كالأنف للإنسان. وهو كذلك "زنيم" من الزنمة، وهى ما تدلى من الجلد فى حلق العنز، أو الفلقة من أذن المعز، تشق فتترك معلقة. فهو كالشئ الزائد التافه؛ لكن التشبيه بجزء لا قيمة له من الحيوان،

١- القلم الآيات: ١-١٦.

له دلالة تبدو أيضا فى العتل الأكول الشروب الغليظ، وهى صفات حيوانية كذلك[1]. أهـ.

وبعد: فلا غرابة أن نجد من أهل هذا الفريق واحدا-كصاحبنا- ينبرى مدافعا عن الكفار والمشركين من أمثال الوليد بن المغيرة أو الأخنس بن شريق أو غيرهما- حسب اختلاف الروايات فى ذلك- ويشحذ قلمه، ليرد غائلة الظلم- معاذ الله- التى وقعت عليه، وقد أطلق لخياله الخصيب العنان حتى سرح به إلى تخوم المستحيل، وزين له، أن القضية قضية فكرية، طرحها القرآن على محك العقول، فقبلتها طائفة برمتها إعتقادا وتسليما، دون إعمال فكرة أو روية. ثم خالف فى الرأى- الوليد بن المغيرة أو غيره- أحد الفحول المستنيرين بتعبير العصر- فكان جزاؤه- نستغفر الله- أن أمطره الله بوابل من الإهانات والتحقير والتذليل والتسخيف، المنبعث عن عاطفة الغضب المشحونة بالغل والبغضاء والكراهية!! لمجرد مخالفته فى الرأى، وكان الأجدر- استغفر الله- أن يعدل عن ذلك إلى مقارعته الحجة بالحجة، أومطاولته فى البيان، بدل الانصراف إلى الشتائم والسباب!!!

ومن المعروف فى آداب المناظرة، أن لا يتكلم بكلام السفهاء-عز ربنا وجل وتعالى عن سفه السفهاء وجهل الجهلاء- لان المناظر المقصود بذلك، هو تهويش الخصم[2].

ونقول لصاحب كتاب: "سلطة النص": تعلمنا-فى معاهد العلم وجامعاته- أنواع التفسير وألوانه، وفنونه، وبرغم ذلك لم نجد فى تفسيرك للآيات الكريمة- إن صح أن يسمى تفسيرا- ما يواكب نوعا منها أو يقاربه بل وأن يمت إليه بأدنى وشيجة. وإنما هو نوع من الحماقات، وضرب من السخف المبتذل، ولون من الغثاء يبعث على الغثيان، ولكنه على كل حال إبان وبشكل سافر ومخيف عن حجم جهالاتك وعمقها، وكيف أنك تفتقر إلى أبسط مبادئ العلوم وأولياتها، فضلا عن نهاياتها وحقائقها، وكما يقول الشاعر:

ولو أنى بليت بها شمى... خئولته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن... تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

١- سلطة النص ص٩٥، ٩٦.
٢- تعليق على الرسالة الموضوعة فى آداب البحث تأليف: أحمد مكى (الطبعة الأولى- مطبعة: جمعية النشر والتأليف الأزهرية سنة ١٩٣٥م)، ص١٧٢.

كنت أظن أنك ضالع فى اللغة وقواعدها، عليم بكلام العرب فى حقيقته ومجازه، أو صاحب راية فى الشعر العربى، قديمه وحديثه، أو متذوق للأدب، بصير بفنونه، أو رائد من رواد النقد الأدبى، صاحب معايير نقدية صادقة وحساسة، فرأيك لا يصدر بحال عن هوى، وإنما يتمخض عن الدرس والبحث والمقارنة والاستقراء، فإذا بكل خالى الوفاض من كل ذلك، بل وفقير مدقع. اقتحمت مجالا لست له بأهل، فلما ركبت متن غرورك، قادك إلى ما فيه خذلانك، وما نرى إلا أنك كليل البصر، عليل الرأى ومأفونه، ضيق الأفق ومحدوده، تركت الطريق اللاحب المأهول، طريق الباحثين المخلصين؛ لأنه يجشمك ما لا تطيق احتماله، ولا كلف لك به من البحث والنظر، والرجوع إلى المصادر الصحيحة، واخترت عليه طريقا آخر ضيقا حرجا- فى فهم كلام الله تعالى- لا يوصل إلى شئ، ولا ينتج شيئا، وهو منج التحليل النفسى- وقد خبرت حقيقته فيما مضى- ثم تعال معى نستلهم فكرتك، ثم نرى كيف تطبقها، ومع من؟!!

هل مع الله تعالى منزل الكتاب؟!! إذا كان ذلك مرادك- وهو نص كلامك- فكبرت كلمة تخرج من فيك، ما تقول إلا كذبا. فهذه الأمراض النفسية التى تقول بها، تستلزم نقص من اتصف بها، والله تعالى متصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة، ومنزه عن كل نقص، وكمالات الله لا تتناهى..

وإذا كنت تقصد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المنزل عليه الكتاب؟!! فقد نلت من نفسك بجهلك أضعاف ما يبلغه منك أعداؤك؛ لأنك لو رجعت إلى القرآن نفسه، وإلى السنة المطهرة، أو السيرة النبوية، أو كتب الشمائل والفضائل[1]؛ لهالك، وأفزعك وأرقك، وأرعد فرائصك ما يتمتع به نبينا صلى الله عليه وسلم- من سلامة الصدر، وطهارة القلب، ونظافة اللسان، ودماثة الخلق، وجماع الشمائل العالية الرفيعة، التى لو قبست من وميض واحدة منها، لتهذبت طباعك، وعف لسانك عن الخوض فى آيات الله بغير علم. وبنفس منطقك، وعلى غرار منهجك نقول لك: لماذا لم تقصر تحليلك على طائفة المشركين، ومن يدور فى فلكهم؟ فهم بحق أولى به، ويحتاجون إلى مثله، بل إلى عشرة أمثاله؛ فهم مرضى

١- ارجع إلى كتب الحديث، وما أكثرها. وانظر: السيرة النوبية لابن هشام أو السيرة الحلبية أو لابن سيد الناس أو دلائل النبوة للبيهقى أو شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم للترمذى أو ابن كثير أو غير ذلك.

النفوس والطباع والأخلاق والسلوك؛ أم أنهم عندك أسوياء- معاذ الله- يحتاجون إلى إنصافك، ووقوفك إلى جانبهم!!

ألم تقرأ قول الله تعالى فى آخر السورة نفسها، التى تطبق عليها منهجك النفسى: "وإن يكاد الذين كفروا ليزلفونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون. وما هو إلا ذكر للعالمين"[1].

وقوله: "ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر"[2]. وقوله: "ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم"[3]. وتأمل قول الله تعالى: "فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"[4]. وقوله تعالى: "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.."[5]. وقوله: "ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم"[6]. وقوله: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"[7]. فى آيات كثيرة تتضح بالطهر والنبل والاستعلاء على لغو الجاهلين. إذن فمن الذى كان يتميز غيظا وحنقا وتصطرع نيران الحقد والغل والبغضاء فى صدره؟!!

ثم أخبرنى كيف يتسنى لنا أن نفهم آيات سورة القلم- شاهد تجربتك- بمجرد قراءتها عدة مرات، دون الرجوع إلى المصادر الأصول فى علم اللغة، وكلام العرب، والشعر، والبلاغة، والقراءات، والنحو والتصريف، وأسباب النزول، وكتب التفسير المعتمدة، وكتب التاريخ والسير وغيرها، حتى تتضح أمامنا الصورة، وتشرق وتتألق، وحتى نحكى عن واقع حقيقى، لا عن خيال مريض؟. وإذا تمهد لك هذا فاعلم أن أخبار القرآن الكريم جميعها صادقة وحق، لا يتطرق إليها الشك. وكذلك قصصه وكل ما وقع فيه، لا أثر للخيال فيه ولا للرمز. قال تعالى: "وقل

١- سورة القلم الآيتان: ٥١،٥٢.
٢- آل عمران آية: ١١٨.
٣- آل عمران آية: ١١٩.
٤- الأنعام آية: ٣٣.
٥- الزخرف الآيتان: ٣١، ٣٢.
٦- فصلت آية ٣٤.
٧- الأعراف آية ١٩٩.

الحق من ربكم"[١]. ويقول: "ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق"[٢]. ويقول: "نحن نقص عليك نبأهم بالحق"[٣]. ويقول: "لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ.."[٤].

إلى غير ذلك، وهو كثير. وكنا نحسب أن تجربته ستتمخض عن فتح جديد أو عن أفكار تحمل فى جوفها وجوها أكثر عمقا وأبعد آفاقا، وأقرب رحما فى تفسير القرآن، فإذا بها سحابة لبدت الجو بغيومها، وأثارت من حولها ريحا هوجا عاصفة، أبرق لها الجو وأرعد، فاشرأبت إليها أعناق الزراع، ورجوا من ورائها الخير. فلم تلبث إلا بمقدار ما تطلع عليه الشمس، فلما مستها انقشعت وزالت، وذهبت أدراج الرياح. ومن هنا كان بنا حاجة إلى أن نقدم هذا المثال مرة أخرى، ولكن بأقلام علماء المسلمين البررة من المفسرين المعتمدين، الذى يملكون بحق المنهج العلمى الصحيح النابع من علم التفسير، حتى يصلحوا هذه الصورة التى أفسدت، ويعيدوا الحق إلى نصابه.

المبحث الرابع: التفسير الصحيح لآيات سورة القلم عند علماء التفسير لكشف انحرافه

أولا: هذه السورة- سورة القلم- سورة مكية. ومعظمها نزل فى الوليد بن المغيرة وأبى جهل. ومناسبتها لما قبلها: أنه فيما قبلها، ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة، وعلمه الواسع، وأنه تعالى، ولو شاء لخسف بهم، أو لأرسل عليهم حاصبا. وكان ما أخبر به تعالى، هو ما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحى. وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر، ومرة إلى السحر، ومرة إلى الجنون. فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، وبالثناء على خلقه العظيم[٥].

١- الكهف آية: ٢٩.
٢- يونس آية: ٥٣.
٣- الكهف آية: ١٣.
٤- يوسف آية: ١١١.
٥- انظر: البحر المحيط لأبى حيان (دار إحياء التراث العربى- بيروت- ط ثانية ١٤١١، ١٩٩٠) ٣٠٧/٨

ثانيا: قوله تعالى: "ما أنت بنعمة ربك بمجنون" يقول الزجاج: هذا جواب لقولهم: "وقالوا يا أيها الذى نزل عليك الذكر إنك لمجنون"[١]. ويرى الزمخشرى وغيره، أن قوله تعالى: "ما أنت بنعمة ربك.." جواب القسم[٢]. وزاد أبو حيان بقوله: ويظهر أن "بنعمة ربك" قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة فى انتفاء الوصف الذميم عنه صلى الله عليه وسلم[٣]. ويورد الشنقيطى ردود من القرآن على هذا الوصف الشنيع، وهو الوصف بالجنون يقول: قال تعالى: "أم يقولون به جنة"[٤]. قال: إن فى الآية ما يرد عليهم، وهو قوله تعالى "بل جاءهم بالحق". وهكذا هنا فى الآية ما يدل على بطلان دعواهم، ويرد عليهم، وهو قوله تعالى: "وإن لك لأجرا غير ممنون"، كما رد عليهم بقوله: "وما صاحبكم بمجنون"[٥]. وكذلك قوله تعالى- فى حق رسوله الكريم الأعظم-: "وإنك لعلى خلق عظيم"؛ لأن المجنون سفيه، لا يعنى ما يقول، ولا يحسن أى تصرف. والخلق العظيم أرقى منازل الكمال فى عظماء الرجال. وفى آخر سورة القلم يقول تعالى: "وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون. وما هو إلا ذكر للعالمين"[٦]. فيه عود آخر السورة على أولها. وأن الكفار إذا سمعوا الذكر شخصت أبصارهم نحو رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، ويرمونه بالجنون. والرد عليهم بأن هذا الذى سمعوه ليس بهذيان المجنون، وما هو إلا ذكر للعالمين، وفيه ترجيح القول، بأن المراد "بنعمة ربك" فى أول السورة، إنما هى ما أوحاه إليه من الذكر[٧]. ويقول الرازى: وقعت تلك

١- الحجر آية: ٦. وأنظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج (عالم الكتب- بيروت- ط أولى سنة ١٤٠٨- ١٩٨٨) ج٢٠٤/٥. وقد تابع الزجاج على هذا الرأى الواحدى فى الوسيط ج٣٣٣/٤. وابن الجوزى فى زاد المسير ج٦٥/٨ والفخر الرازى فى تفسيره ج٧٩/٣٠ والقاسمى فى تفسيره ج٢٥٢/١٦.
٢- أنظر: الكشاف للزمخشرى ج١٤١/٤.
٣- البحر المحيط لأبى حيان ج٣٠٧/٨ ورد ابن القيم هذا التقدير وقال: هذا التقدير ضعيف جدا، لأنه قد تقدم القسم الأول فكيف يقع القسم الثانى فى جوابه؟ انظر: التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم (مكتبة القاهرة بدون) ص ١٥٧.
٤- المؤمنون آية: ٧٠.
٥- التكوير آية: ٢٢.
٦- سورة القلم: ٥١، ٥٢.
٧- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى (عالم الكتب- بيروت) ج٤١٩/٨، ٤٢٠، ٤٢٥.

الواقعة فى ألسنة كفار قريش، فقالوا: إنه لمجنون، فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون[١].

وأعجبنى قول المرحوم/ سيد قطب بقوله: هذه السذاجة فى طريقة محاربتهم للدعوة بقولهم للنبى-صلى الله عليه وسلم-: "إنه لمجنون"، وهو اتهام لا حبكة فيه ولا براعة، وأسلوب من لا يجد إلا الشتمة الغليظة يقولها بلا تمهيد ولا برهان، كما يفعل السذج البدائيون[٢]. وقد برأه الله من هذا الاتهام الظالم، وبهذه الصيغة الرائعة، فالمقسم عليه بالقلم والكتابة تنزيه نبيه ورسوله عما يقول فيه أعداؤه، وهو قوله: "ما أنت بنعمة ربك بمجنون". وأنت إذا طابقت بين هذا القسم، والمقسم به وجدته دالا عليه أظهر دلالة وأبينها- كما يقول العلامة ابن القيم-فإن ما سطر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التى يتلقاها البشر بعضهم عن بعض، لا تصدر عن مجنون، ولا تصدر إلا من عقل وافر، فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذى هو فى أعلى درجات العلوم؟.. وهل هذا إلا من أقبح البهتان وأظهر الإفك؟ فكيف يرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء كلهم قاطبة عن معارضته ومماثلته؟[٣]. وأما الإمام الرازى فيقول: أعلم أنه تعالى وصفه- أى الرسول "صلى الله عليه وسلم"- ههنا بثلاثة أنواع من الصفات: الصفة الأولى: نفى الجنون عنه، ثم إنه تعالى، قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها، وذلك لأن قوله: "بنعمة ربك" يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة فى حقه من الفصاحة التامة، والعقل الكامل، والسيرة المرضية، والبراءة من كل عيب، والاتصاف بكل مكرمة. وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافى حصول الجنون، فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين فى قولهم له: إنه مجنون.

الصفة الثانية: قوله: وإن لك لأجرا غير ممنون" أى غير منقوص ولا مقطوع، أو غير مقدر عليك بسبب المنة. والقول الأول أشبه والمعنى، إن لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح أجرا عظيما دائما.

١- تفسير الفخر الرازى ج٣٠/ ٧٩ (دار الفكر بيروت- ط ثالثة سنة ١٤٠٥هـ- سنة ١٩٨٥م).

٢- فى ظلال القرآن تأليف: سيد قطب (دار الشروق. الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) ج٦/٣٦٥٣، ٣٦٥٤.

٣- انظر: التبيان فى أقسام القرآن تأليف: شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه (دار الطباعة المحمدية بالقاهرة بدون)، ص١٥٦.

الصفة الثالثة: قوله تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم" وهذا كالتفسير لقوله: "بنعمة ربك"، وتعريف لمن رماه بالجنون بأن ذلك كذب وخطأ.. ومن حسن الخلق، التحرز من الشح والبخل والغضب، والتحبب إلى الناس بالقول والفعل[١]. ثم يقلب هذه القضية عليهم على نحو قول أهل آداب البحث والمناظرة فى المعارضة على سبيل القلب[٢]، فيقول تعالى: "فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون" والمفتون: المجنون، لأنه فتن: أى محن بالجنون. ويقول الزمخشرى: أو لأن العرب يزعمون أنه من تخييل الجن، وهم الفتان للفتاك بهم.. أى بأيكم الجنون، أى بأى الريقين منكم أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم؟ وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما، وهذا كقوله تعالى: "سيعلمون غدا من الكذاب الأشر"[٣]. "إن ربك هو أعلم" بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله "وهو أعلم بالعقلاء، وهم المهتدون[٤]. ويؤيد هذا ويعضده قوله تعالى: "ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون"[٥]. وقوله: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير)[٦]. ويقول الإمام القشيرى -فى شرح الأسماء الحسنى-: (نصرة الحق لعبده أتم من نصرة العبد لنفسه، قال تعالى: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون"[٧]. ثم انظر بماذا سلاه، وبأى شئ خفف عليه تحمل أثقال الأذى حيث قال: "فسبح بحمد ربك"[٨]. يعنى إذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم، فاسترح

١- تفسير الفخر الرازى ج٣٠/٧٩-٨١.

٢- وهو معارضة دليل المعلل بعين دليله. وايضاحه أني يقول له: دليلك هذا ينتج نقيض دعواك، فهو حجة عليك لا لك. وسميت معارضة بالقلب، لأنه قلب عليه دليله بعينه حجة عليه لا له. وإن كان اتهامهم للرسول بالجنون من غير دليل أصلا. انظر: آداب البحث والمناظرة تأليف: محمد الأمين الشنقيطى (الناشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة) ص٧٤.

٣- القمر آية: ٢٦.

٤- تفسير الكشاف للزمخشرى ج٤/١٤١، ١٤٢.

٥- الأعراف آية: ١٧٩.

٦- الملك الآيتان: ١٠،١١.

٧- الحجر آية: ٩٧.

٨- الحجر آية: ٩٨.

بروح ثنائك علينا؛ ولذة التنزيه والذكر لنا، فإن ذلك يريحك ويشغلك عنهم. ثم إنه "عليه السلام" لما قبل هذه النصيحة وامتثل بأمر ربه، تولى نصرته، والرد عنه. فلما قيل: إنه مجنون. أقسم على نفى ذلك بقوله: "ن والقلم.. الخ"تحقيقا لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه، ثم عاب الله القادح فيه بالجنون، بعشر خصال ذميمة، بقولن: "ولا تطع كل حلاف مهين.. إلى قوله: أساطير الأولين". وكان رد الله عنه، وذبه أتم من رده عن نفسه، حيث كان من جملة القرآن باقيا على الألسنة إلى يوم القيامة)[1]. ثم إن الصفة التى ذكرها المعاند فكانت كاذبة، وأما الصفات التى ذكرها الله تعالى فى حقه، فكانت صادقة عرف بها بين قومه، ولكنها ألبسته ثياب الخزى لما شخصته وحدته ولازمته واصطلحت عليه، ولم يمار فيها أحد، ولم ينقل إلينا عن واحد من قومه نفى أى صفة من هذه الصفات عن صاحبها، مع حرصهم الشديد على تكذيب القرآن الكريم؛ بل الذى روى أن الوليد كان دعيا فى قريش، ليس من سنخهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده. وقيل: بغت أمه، ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها. وروى أن الوليد[2] دخل على

١- انظر: تفسير روح البيان تأليف: إسماعيل حقى البروسى (دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- بدون) ج١٠/١٠٥.

٢- والقول بأن الوليد بن المغيرة، وهو صاحب هذه الصفات، ليس محل إجماع بين المفسرين؛ بل هناك أقوال أخرى فى هذه المسألة، ذكرها المفسرون. نوردها على الوجه التالى، ثم نعقب عليها بترجيح أولاها بالرجحان، مع بيان سبب ذلك على وجه الإجمال: فقد أخرج ابن جرير الطبرى عن الكلبى قال: هو الاخنس بن شريق. وأصله من ثقيف، وعداده فى بنى زهرة. والزنيم هو: الأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زهرة. وزعم ناس من بنى زهرة أن الزنيم هو الأسود بن عبد يغوث الزهرى وليس به. أهـ انظر: جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف: أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (دار الحديث- القاهرة سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م ٢٩/١٥-١٧).

وأخرج ابن أب حاتم عن السدى قال: نزلت فى الأخنس بن شريق وأخرج أيضا عن مجاهد قال: هو الأسود بن عبد يغوث. أهـ

أنظر: تفسير القرآن العظيم "مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" تأليف: الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى ابن أبى حاتم تحقيق: أسعد محمد الطيب (مكتبة نزار مصطفى الباز -مكة المكرمة- الرياض ط أولى سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م ج١٠/٣٣٦٤).

ويقول أبو عبد الله البلنسى: نزلت فى الأخنس بن شريق، واسمه أبى وكان ثقفيا ملصقا فى قريش، فلذلك قال: "زنيم" لأعلى جهة الذم لنسبه، ولكن على جهة التعريف به. كذا قال القتبى وغيره. وقد روى أنه الوليد بن المغيرة، منع بنى أخيه أن

يسلموا، فنزل "مناع للخير". حكاه ابن سلام. أهـ انظر: تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابى الأعلام والتكميل للإمام: أبى عبد الله محمد بن على البلنسى دراسة وتحقيق: عبد الله عبد الكريم محمد (دار الغرب الإسلامى- بيروت- ط أولى سنة ١٤١١هـ، ١٩٩١م ج٢/٦٣٨،٦٣٩).

وقال ابن عساكر: هو الأخنس بن شريق. وقد روى أنه الوليد بن المغيرة. وقيل: هو الأسود بن عبد يغوث، حكاه سنيد. أ هـ انظر: التكملة والإتمام لكتاب التعريف والأعلام فيما أبهم من القرآن تأليف: محمد بن على بن خضر الغسانى ابن عساكر تحقيق: أسعد محمد الطيب (الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز. ط أولى سنة ١٤١٨هـ، سنة ١٩٩٧م ص ٢٠٧).

وقال بدر الدين ابن جماعة: هو الوليد بن المغيرة. وقيل: أبو جهل. وقيل: الاسود بن عبد يغوث. وقيل: الأخنس بن شريق. "زنيم" هو: الدعى؛ لأن أباه ادعاه بعد ثمانى عشرة سنة. ومن قال الأخنس قال: لأنه كان ثقفيا، ويعد فى زهرة. أ هـ أنظر: غرر التبيان فى من لم يسم فى القرآن تأليف: بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة. دراسة وتحقيق د/ عبد الجواد خلف (دار قتيبة- بيروت- ط أولى سنة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص٥١٦).

وقال ابن الجوزى: واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقول: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة. قاله ابن عباس ومقاتل. والثانى: الأخنس بن شريف. قاله عطاء والسدى. والثالث: الأسود بن عبد يغوث. قاله مجاهد. أ هـ (أنظر: زاد المسير لابن الجوزى ج٨/٦٧).

وقال القرطبى: هو الأخنس بن شريق فى قول الشعبى والسدى وابن اسحاق. وقيل: الأسود بن عبد يغوث أو عبد الرحمن بن الأسود قاله مجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة عرض على النبى-صلى الله عليه وسلم- مالا، وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه قاله مقاتل.

وقال ابن عباس: هو أبو جهل بن هشام. أهـ أنظر: الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (دار الكتب العلمية- بيروت- ط. أولى- سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م ج١٨/١٥١).

ويقول السيوطى- فى الدر المنثور:- أخرج ابن مردويه عن أبى عثمان النهدى قال: قال مروان بن الحكم- لما بايع الناس ليزيد-: سنة أبى بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبى بكر: إنها ليست بسنة أبى بكر وعمر، ولكنها سنة هرقل. فقال مروان: هذا الذى أنزلت فيه: "والذى قال لوالديه أف لكما" قال: فسمعت ذلك عائشة فقالت: إنها لم تنزل فى عبد الرحمن، ولكن نزلت فى أبيك: "ولا تطع كل حلاف مهين. همار مشاء بنميم".

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس: "ولا تطع كل حلاف" الآية قال: يعنى الأسود بن عبد يغوث. وأخرج عبد بن حميد عن عامر الشعبى: "ولا تطع كل حلاف" الآية. قال: هو رجل من ثقيف يقال له: الأخنس بن شريق. أ هـ انظر: الدر المنثور فى التفسير المأثور للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (دار الكتب العلمية- بيروت. ط أولى سنة ١٤١١هـ، ١٩٩٠م ج٦/٣٩١، ٣٩٢).

أمه، وقال: إن محمدا وصفنى بعشر صفات، وجدت تسعا فى، فأما الزنيم فلا علم لى به، فإن أخبرتنى بحقيقته، وإلا ضربت عنقك. فقالت: إن أباك عنين، وخفت أن يموت، فيصل ماله إلى غير ولده؛ فدعوت راعيا إلى نفسى، فأنت من ذلك الراعى[١]. هذا على فرض القول بصحة هذه الرواية- مع اعتقادنا بأنها لو كانت صحيحة لحسمت مادة الخلاف فى هذه المسألة- وإن كان ابن قتيبة اختار القول بأنه الوليد بن المغيرة يقول: "وهذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة، ولا نعلم أن الله سبحانه وتعالى وصف أحدا وصفه له، ولا بلغ من ذكر عيوبه ما بلغه من ذكرها منه؛ لأنه وصفه بالحلف والمهانة والعيب للناس، والمشى بالنمائم والبخل، والظلم والإثم، والجفاء والدعوة؛ فألحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم[٢].

على أن اختلاف العلماء يمكن أن يأخذ هذا التصور، هل هذه الأوصاف هى أجناس لم ترد فى رجل بعينه؟ أو أنها نزلت فى رجل بعينه، وإذا كان الأمر كذلك فمن هو؟ يقول ابن عطية: فقال بعضهم: هو الوليد بن المغيرة، ويؤيد ذلك غناه[٣]، وأنه أشهرهم بالمال والبَنين. وقال الشعبى وغيره: هو الأخنس بن شريق، ويؤيد ذلك أنه كانت له هنة فى حلقه كزنمة الشاة. وأيضا فكان من ثقيف ملصقا فى قريش. وقال ابن

ويقول السيوطى أيضا- فى اسباب النزول-: أخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله: "ولا تطع كل حلاف مهين" قال: نزلت فى الأخنس بن شريق. وأخرج ابن المنذر عن الكلبى مثله. وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال: نزلت فى الأسود بن عبد يغوث. أ هـ أنظر: أسباب النزول للسيوطى تحقيق وتعليق: قرنى أبو عميرة (الناشر: مكتبة نصير- القاهرة- بدون ص٢٨٢).

ويقول السيوطى-فى مفحمات الأقران-: قال السدى: نزلت فى الأخنس بن شريق. وقال مجاهد: فى الأسود بن عبد يغوث أخرجهما وقيل: فى الوليد بن المغيرة. حكاه الكرمانى. أهـ. أنظر: مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى تحقيق: اياد خالد الطباع (مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ثانية سنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ص٢٠١، ٢٠٢).

١- تفسير النسفى للإمام أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى. (مطبعة: عيسى الباب الحلبى- بدون ج٤/٢٨٠).

٢- القرطين لابن مطرف الكنانى أو كتابى مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة (دار الباز للنشر والتوزيع- مكة المكرمة- بدون) ج٢/١٧٦.

٣- انظر: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للقاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى تحقيق: المجلس العلمى بتارو دانت (سنة ١٤١١، ١٩٩١م) ج١٦/٧٧.

عباس- فى كتاب الثعلبى-: هو أبو جهل. وذكر النقاش: عتبة بن ربيعة. وقال مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث، ثم يقول: وذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الأوصاف، هى أجناس لم يرد بها رجل بعينه، وظاهر اللفظ عموم من هذه صفته، والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقى الزمن، لا سيما لولاة الأمور[١]. ونرى أن أباحيان تابع ابن عطية على هذا- بعد أن ذكر أقوال العلماء فيمن يراد بهذه الأوصاف- فقال: وقال مجاهد: كانت له- أى الوليد- ستة أصابع فى يده، فى كل إبهام أصبع زائدة. والذى يظهر أن هذه الأوصاف ليست لمعين، ألا ترى إلى قوله: "كل حلاف" وقوله: "إنا بلوناهم" فإنما وقع النهى عن طواعية من هو بهذه الصفات[٢]. وجاء فى التفسير البيانى للقرآن الكريم: إن لفظ "كل" فى صدر هذه الأوصاف: "ولا تطع كل حلاف مهين" يخرج بها من الخصوص إلى العموم المستفاد صراحة من "كل"[٣]. وفى المقابل نجد صاحب "ملاك التأويل"[٤]. يلحظ فى مقابل هذه الأوصاف الواردة فى هذه السورة، أوصافا واردة فى سورة المطففين، بدأت بقوله تعالى: "الذين يكذبون بيوم الدين. وما يكذب به إلا كل معتد أثيم" إلى قوله "أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"[٥] فاتحد الوصف فى السورتين- القلم والمصففين- بقوله: "قال أساطير الأولين" ولكن أعقبه فى سورة المطففين: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". وأعقبه فى سورة القلم "سنسمه على الخرطوم" والحكمة فى ذلك: أن آيات القلم نزلت فى شخص بعينه- الأخنس بن شريق أو الوليد بن المغيرة- وكان مظهرا لعداوة رسول الله- صلى الله عليه وسلم. وهو القائل: "سأنزل مثلما أنزل الله"[٦]، وكان من أكثر قريش مالا وولدا، فلهذا قيل فيه: "أن كان ذا مال وبنين"، وهو القائل يوم مات إبراهيم بن النبى- صلى الله عليه وسلم-: أصبح محمد أبترا. أى لا ولد له، فأنزل الله تعالى على رسوله-صلى الله

١- نفس المصدر السابق.

٢- البحر المحيط لأبى حيان ج٨/٣١٠.

٣- انظر: التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن (دار المعارف- القاهرة- ط رابعة، سنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م). ج٢/ ٥٩، ٦٠.

٤- ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللافظ من آى التنزيل للإمام/ أحمد بن إبراهيم الغرناطى تحقيق: سعيد الفلاح (دار الغرب الإسلامى-بيروت- ط. أولى سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) ج٢/١٠٩٣-١٠٩٥.

٥- المصففين الآيات: ١١-١٤.

٦- الأنعام آية: ٩٣.

عليه وسلم-: "إن شانئك هو الأبتر"[١]. والشانئ: المبغض. ففى هذا نزلت الآية من قوله: "ولا تطع كل حلاف مهين.." إلى آخرها، فأغنى استيفاء صفاته المذمومة عن تعيين اسمه بقوله تعالى: "سنسمه على الخرطوم". وأما آية المطففين، فليست فى معينين بغير مرتكباتهم، قال تعالى: "وما يكذب به" أى بيوم الدين، وهو يوم الجزاء "إلا كل معتد أثيم" مكذب بالوحى، "إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين" فقال تعالى: "بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" وأعاد الضمير فى قلوبهم على المعنى من حيث إن المراد هنا، جميع من وقع عليهم: "كل". بخلاف آية القلم، فإن "كل" فيها واقعة على مفرد. وعبر بكل، ليعم المقصود بذلك المراد، ومن كان على صفته إيلاغا فى ذمة. والضمير فى "سنسمه" لمفرد كما تقدم، ولفظ "كل" مطابق بمعناه. فلا يناسب آية القلم ما أعقبت به آية سورة التطفيف، ولا آية التطفيف ما أعقبت به آية سورة القلم[٢].

ويؤيد هذا الرأى ويدعمه الشيخ/ عبد القادر المغربى فيقول: وقد ذكر تعالى هؤلاء المكذبين ثمة بعنوان عام. أما فى هذه الآية فقد نهى الله نبيه عن إطاعة واحد منهم بعينه، تجمعت فيه خصال عشر غاية فى القبح والبشاعة، معرضا بذلك الشخص تعريضا، مدخلا له فى كل من كان مثله فى استجماع الخصال المذكورة. ولما كان من المستبعد أن تجتمع هذه الخصال المذكورة. جميعها فى أشخاص كثيرين، فإن الذهن ينتبه بالضرورة إلى أن المقصود واحد بعينه اتفق أتصافه بتلك الخصال، وإن كانت قضيته مسورة بالسور الكلى أعنى كلمة: "كل" فى قوله: "كل حلاف". ثم يقول: وإن إيراد الكلام على هذا الأسلوب، وإفراغ التعريض فى هذا القالب لهو من الحسن والوصول إلى الغرض بمكان. وقد اختلف المفسرون فى الشخص الذى أريد التعريض به، والأكثرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومى[٣]. ومن هؤلاء الأكثرين محمد لطفى جمعة يقول: ثم عاد القرآن إلى الوليد بن المغيرة فوصفه أبشع وصف، وأجمع قذف، وأقذع سب فى اللغة العربية أو فى أى لغة أخرى. وقد يكون هذا الوصف منطبقا على أبى جهل أو أسود بن عبد يغوث أو أخنس بن شريق. وهذه الصفات تنطبق على كثير من زعماء المعارضة فى قريش؛ ولكن الأغلب

١- الكوثر آية: ٣.
٢- انظر: ملاك التأويل للغرناطى ج٢/١٠٩٣-١٠٩٥.
٣- انظر: تفسير جزء تبارك تأليف: المرحوم الشيخ/ عبد القادر المغربى (كتاب الشعب- القاهرة سنة ١٤١٠هـ، سنة ١٩٨٩م)، ص ١٨.

أنه الوليد؛ لأنه هو ذو المال والبنين، وهو الذى قال: إن القرآن أساطير الأولين[١]. ويقوى هذا أننا نجد بقية قصة الوليد بن المغيرة فى سورة المدثر بداءة من قوله: "ذرنى ومن خلقت وحيدا.. الآيات"[٢]- وهى بإجماع المفسرين واردة فيه- ولذلك يقول ابن كثير: وقوله تعالى: "أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين"[٣]. يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كفر بآيات الله عز وجل، وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين، كقوله تعالى: ذرنى وما خلقت وحيدا.... الآيات[٤] إلى قوله: "عليها تسعة عشر"[٥]. ولكن يلاحظ أن أكثر المفسرين تناقلوا قول ابن عباس المروى عن السدى وعن العوفى فى بيان قوله تعالى: "سنسمه على الخرطوم" قال ابن عباس: يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف فى القتال[٦]. أى على انفه. ويعقب الشهاب على هذا بقوله: أصل الخرطوم للخنزير والفيل فإطلاقه على أنف الإنسان مجازا، كإطلاق المشفر. وقوله: يوم بدر اعترض عليه بأن الوليد المغيرة من المستهزئين، وكلهم ماتوا قبل بدر[٧]. كما يلاحظ أن كثيرا ممن فسروا قوله تعالى: "إن شانئك هو الأبتر"[٨].

بالوليد بن المغيرة، قالوا: أسلم بنوه وتركوه وحيدا أبتر[٩] وهذا مجافى للحقيقة. وكذلك خالف الصواب من المفسرين من أمثال الزمخشرى والرازى وغيرهما، حين قالوا: أسلم من بنى الوليد بن المغيرة ثلاثة وهم: خالد وعمارة وهشام. يقول ابن حجر فى الإصابة:-

---

١- انظر نظرات عصرية فى القرآن الكريم تأليف/ محمد لطفى جمعة (عالم الكتب- القاهرة، سنة ١٤١١هـ، ١٩٩١م)، ص٤٦١.
٢- المدثر الآيات ١١-٣٠.
٣- القلم الآيتان ١٤، ١٥.
٤- تفسير القرآن العظيم للإمام/ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (مطبعة: عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر- بدون) ج٤/٤٠٥.
٥- المدثر الآيات: ١١-٣٠.
٦- ولكن ابن جرير الطبرى يقول: وأولى القولين بالصواب عندى.. سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم. أهـ انظر: جامع البيان للطبرى ج١٢/١٨،١٩. وأما ابن عطية فيقول: وإذا تأملت حال أبى جهل ونظرائه وما ثبت لهم فى الدنيا من سوء الأحدوثة رأيت أنهم قد وسموا على الخراطيم. أ هـ انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ج ١٦/٨٠، ٨١.
٧- انظر: حاشية الشهاب على البيضاوى ج٨/٢٢٩.
٨- الكوثر: آية ٣.
٩- أنظر: ملاك التأويل تأليف: أحمد إبراهيم بن الزبير الغرناطى ج ٢/ ١٠٩٤.

والصواب خالد وهشام والوليد. فأما عمارة فإنه مات كافرا؛ لأن قريشا بعثوه للنجاشى، فجرت له معه قصة فأصيب بعقله، وهام مع الوحش. وقد ثبت أنه ممن دعا النبى- صلى الله عليه وسلم- عليهم من قريش، لما وضع عقبة بن أبى معيط سلى الجزور على ظهره وهو يصلى[١]. والذى بقى أن نقوله فى أمر الوليد بن المغيرة، أنه بعد نزول قوله تعالى: "كلا إنه كان لآياتنا عنيدا"[٢].لم يزل فى نقصان من ماله حتى هلك[٣] بل إن المهايمى يقول: ومع ذلك لم يزل مستشار الأهل حتى "إنا بلوناهم" بالقحط سبع سنين من غير أن يعم سائر البلاد؛ لمشاورتهم هذا الجامع للذمائم سيما منع حق آيات الله[٤] ويقصد بالمتبلين قريش، وسبب البلوى الوليد لمشاورتهم له حتى أوردهم المهالك، وعمهم القحط والمجاعة بشؤم مشورته.. وبعد:

فالذى ظهر لك الآن أننى، قد أنسيت أو تناسيت أن هذا البحث لا يسمح بعرض هذا النموذج على هذا النحو من الإغراق فى التفصيل، من حيث المنهج والتناول، أو من حيث الرد عليه، وما يستوجبه من التأصيل والتعقيد والملاحقة والتتبع، وإن كان مطلوبا وهذا أولا. وأما ثانيا: فهو انجرار البحث إلى مسائل خليقة أن تفرد بمطولات حتى تتضح على مهل وريث وأناة، وأن طبيعة هذه الأبحاث أنه كزة وحرجة إلى حد ما تضيق بالتحليق فى تلك الآفاق المترامية، ولا تكاد تسبح فى هذه الأعماق البعيدة إلى على استحياء وفى غير قليل من الوجل؛ ولكن يشفع لى فى بعض ذلك، أن هذا النموذج يمثل اتجاها كبيرا وخطيرا فى الانحراف الفكرى والعقدى ممن يتصدون لتفسير النص القرآنى. وأننى حاولت - سواء أصبت أم أخطأت- أن أرأب بعض هذه الصدوع التى انسربت منها هذه المياه الآسنة العفنة، وأن أجبر هذا الكسر الذى انبعثت منه هذه الروائح الكريهة التى تزكم الأنوف، وتعشى الأبصار، وكذلك أن ألقم أفواه هؤلاء الضالين المتخرصين على كتاب الله- بغير علم- إلحجر من أول الأمر، حتى لا تنبت لهم نابتة، ولا تثبت لهم قدم على أرض الواقع، وأن أكشف

١- انظر: تفسير القاسمى ج٢٣٨/١٦.
٢- المدثر آية ١٦.
٣- انظر: تفسير الفخر الرازى ج١٩٩/٣٠.
٤- أنظر: تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان تأليف: الغمام على بن أحمد بن إبراهيم المهايمى (علام الكتب- بيروت- طبعة ثانية سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) ج٣٧٤/٢.

الأقنعة عن هذه الوجوه الكالحة الدميمة فتبدو للعيان- أولا بأول- على هيئتها الحقيقية المنفرة من غير ظلال، وحتى لا ينخدع بها الأغرار.

ومن جانب آخر، فإن هذا الاستطراد يسد ثغرة طالما نفذ منها العلمانيون للتشكيك فى نصوص القرآن الكريم، ولزعزعة الثقة فى مصداقيته؛ ولإشاعة نوع من البلبلة حوله؛ ولنزع صفة القداسة التى اكتسبها من حيث إنه الكتاب المقدس الأوحد، الذى تنبعث من كل جنباته آيات الصدق وأمارات الحق على أنه منزل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بلفظه ومعناه، غض طرى لم يتسنه. ومن ثم يشتد عجبنا من قول صاحب: "سلطة النص": ولا يشبه نظم القرآن إلا البها فاجيتا، وهو نص مقدس عند الهندوس. جاء متأخرا على شكل آيات مختصرة"[١]. ثم إننا نرى بعد ذلك- المؤلف ذاته- لا يستعرض أقوال العلماء فى استجلاء معانى كلمات القرآن وتراكيبه، ويستهدى بعلومهم، وإنما ربما يكتفى برأى واحد فقط فى مسألة كثر فيها الرأى، وتعددت فيها الأقوال[٢]، وليس ذلك منه طلبا للإيجاز؛ وإنما ليخدم غرضه المريض الذى يرمى إليه- فمثلا فسر قوله تعالى: "عتل" بالأكول الشروب فقط-كما سبق- وهو رأى لعبيد بن عمير من سبعة آراء فى معنى هذه الكلمة[٣]. وهو يرمى من وراء ذلك إلى تصوير القرآن على أنه برم

١- سلطة النص ص٧١ وقد سبق بيان ذلك.
٢- أنظر فى بيان هذه المسألة: البرهان للزركشى ج١٧٦/٢، ١٧٧
٣- يقول ابن الجوزى: وفى العتل سبعة أقوال: أحدها: أنه العاتى الشديد المنافق قاله ابن عباس. والثانى: أنه الموفر الجسم قاله الحسن. والثالث: الشديد الأشر. قاله مجاهد. الرابع: القوى فى كفره. قاله عكرمة. الخامس: الأكول الشروب القوى الشديد قاله عبيد بن عمير. السادس: الشديد الخصومة بالباطل قاله الفراء. السابع: أنه الغليظ الجافى قاله ابن قتيبة أ هـ انظر: زاد المسير لابن الجوزى ج٦٨/٦٧/١.
وقال البغوى: العتل: الغليظ الجافى وقال الحسن: هو الفاحش الخلق السئ الخلق. قال الفراء: هو الشديد الخصومة فى الباطل وقال الكلبى: هو الشديد فى كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل، وهو الدفع بعنف. قال عبيد بن عمير: العتل الأكول الشروب، القوى الشديد، لا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة أ هـ. انظر: تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل تأليف: أبى محمد الحسين الفراء البغوى بها مش تفسير الخازن (المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة بدون) ج١١٠/٧. ويقول الواحدى (الوسيط فى تفسير القرآن المجيد. ج٣٣٥/٤): والمفسرون يقولون: هو الشديد الخلق الفاحش الخلق. أهـ. ويعجبنى فى هذا السياق دقة ملحظ الفخر الرازى (تفسير الفخر الرازى ج٨٤/٣٠) حيث يقول: وأقوال المفسرين- فى العتل- كثيرة، وهى محصورة فى أمرين أحدهما: أنه ذم فى الخلق.

وضيق الصدر بالخارجين عليه والمخالفين له، ومن ثم فهو يصفهم بأنهم حيوانات ذات خراطيم، لا هم لهم إلا الأكل والشرب.

والثانى: أنه ذم فى الخلق. وهومأخوذ من قولك: عتله، إذا قاده بعنف وغلظة فأما الذين حملوه على ذم الخلق. فقال ابن عباس فى رواية عطاء: يريد قوى ضخم.. وأما الذين حملوه على ذم الأخلاق، فقالوا: إنه الشديد الخصومة، اللفظ العنيف. أهـ. وفى هذا الإطار، وتحت هذا المفهوم تقول الدكتورة: عائشة عبد الرحمن (التفسير البيانى للقرآن الكريم ج٢/٥٨/٥٩): وبملحظ من الغلظة فى الاستعمال الحسى، جاءت دلالة العتل على الجافى الغليظ وفى القرآن الكريم من المادة آيتا: "خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم" (الدخان آية ٤٧) و"عتل بعد ذلك زنيم" نفهمها بالدلالة اللغوية على الغلظة والخشونة، مع ما فى اللفظ نفسه من حس الجفوة، ثم يعطيهما السياق القرآنى ملحظا من رهبة الزجر فى قسوة الأخذ بآية الدخان، ومن الضعة والخسة واللؤم فى عتل زنيم بآية القلم. أهـ. على أن كلمة العتل من الكلمات الجوامع يقول الشيخ/ عبد القادر المغربى (تفسير جزء تبارك ص ١٩): وربما كانت كلمة "العتل" أجمع كلمات اللغة العربية لمساوئ الأخلاق، حتى أن اللؤم نفسه أصبح معنى من معانيها، ولطخة من مخازيها. أهـ ثم إن الدكتور/ إبراهيم السامرائى يقول فى (من بديع لغة التنزيل- مؤسسة الرسالة- بيروت ط ثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م ص٢٩٥): ولا نعرف "العتل" فى العربية المعاصرة، ولكننا نعرف الزنيم فى اللغة السائرة، وهى من ألفاظ السب والشتم لدى العامة، والزنيم عندهم: الفاسد الساقط المروءة، وقد يكون ابن زنى. أهـ وهذا وغيره مما أعرض عن ذكره صاحبنا، واكتفى بما يمهد لغرضه ويوطئ لمنهجه الذى اختطه، سادرا فى غيه لا يلوى على شئ مهما جانبه الحق وخالفه الصواب. وليعذرنى القارئ مرتين: مرة لتطويل ذيل هذا الهامش والذى قبله ،وعذرى فيهما أنها مسألة دقيقة أن يفوتك رأى فى التفسير ولو كان ضعيفا كما صرح الزركشى، إلى جانب مسائل أخرى منها رعى اللغة ومتابعة معانيها الدقيقة, ومرة أخرى فى ذكر المصدر أو المرجع عقب أخذى عنه فى الهامش، وعذرى حتى لا تختلط الأوراق، وهو مذهب لبعض فحول المحققين مثل النجدى ناصف وغيره. خاصة وأن هذا هامش وقد قصد من ورائه أيضا، التذكير بالعودة إلى المصادر والمراجع المعتبرة فى المسألة الواحدة أو الموضوع الواحد، حتى يتسنى لنا بناء كافة جوانبه وإظهار عظمة النص القرآنى وجلاله وإعجازه.

المبحث الخامس: (موقفه من القصة القرآنية، والرد عليه)

وإذا كان هذا رأى مؤلف: سلطة النص، فى تفسير نصوص القرآن الكريم، فماذا عساه يقول فى القصة القرآنية؟ يقول ما نصه: "فالقصة القرآنية غايتها وعظية دعائية؛ وهذا ما جعل البعض يرى فى القصص القرآنى غايته فقط دون أحداثه، معتبراً أن تلك الأحداث ليست سوى رموز تشحذ الخيال، وتشد النفوس من أجل عبرتها ودلالتها فقط"[١]. يعنى أن أحداثها مختلقة، وأشخاصها وهميون، وأماكنها مفترضة لا تمت إلى الواقع بصلة ثم يضيف: "ونعود الآن ونضيف، بأن عمومية النص القرآنى، ستجعله مفتوحا بشكل دائم لكل أسئلة ما بين السطور وللخيال والاجتهاد وعمومية الغرض أو الغاية من النص (الدعوة الإسلامية هنا) ستجعله حافزا أيضا للبحث عن تلك الغاية وراء المواقف والأحداث المتوالية، أو حتى وراء تتابع الجمل، وفك رموز الكلمات"[٢]. وهو ينكر وجود إبراهيم- عليه السلام، ويعتبره رمزا، فيقول: "أما دالة إبراهيم الشخصية فلاتهم، لأن المادة الخام يمكن أن تتغير، والإسم نفسه يمكن أن يتغير، وأماكن البطولة تتغير"[٣].

بل الأدهى من ذلك، أنه يعتبر النص القرآنى، ليس منزلا من عند الله عن طريق الوحى؛ وإنما هو نص بشرى- وقصد صرح بذلك مرارا كما سبق- ولا يتسم بالمصداقية، بل يعتبر التوراة مصدرا أصيلا للنص القرآنى، يأخذ عنها قصصه، ثم يعيد صياغتها من جديد، بما يتناسب ومنهجيته فى عرضها، وليس فى إطارها الصحيح، الذى كانت عليه من قبل، فيقول مثلا: "انظر قصة يوسف بين العهد القديم والقرآن، حيث وضح هذا النموذج فى القصة التوراتية التى وظفها القرآن؛ فأخفى هذا النموذج اليهودى، وأبرز إسلامية أنبياء بنى إسرائيل، ألم يصبح إبراهيم حنيفا مسلما بالنص القرآنى أيضا؟"[٤].

١- سلطة النص ص ١٢٢.
٢- سلطة النص ص ١٣٤.
٣- سلطة النص ص ٢٧٣.
٤- سلطة النص ص ١٣٤.

وللرد عليه نقول[٠]:

فى الحقيقة ليس له فى هذا الجانب نصيب، وأن هذه الأكاذيب الملفقة التى أتى بها هنا فى القصص القرآنى، ليست من بنات أفكاره، وادعاؤه لها كمثل لابس ثوبى زور، وما أتيت بهذا المثال إلا لأكشف عن مصادره فى هذا من المستشرقين الغربيين من يهود ومسيحيين وملحدين، وما هو إلا ناقل أخرق لبضاعة مزجاة، لا يملك حيلة فى تصريفها وإنفاقها، ولكنها على كل حال ربطت بين هذه الشبكة العنكبوتية بخيط الشطط والمروق، تحت دعاوى التجديد أو العصرية أو غيرها، ومن ثم نرى بعدها الزمانى وقد بدأ بالدكتور/طه حسين حين أعلن فى كتابه: "فى الشعر الجاهلى" أن قصة إبراهيم وإسماعيل أسطورة نسجها يهود شبه الجزيرة العربية ليتقربوا بها من العرب[١]. ثم تلاه أمين الخولى، وهو يقدم لكتاب "الفن القصصى فى القرآن الكريم" تأليف: محمد أحمد خلف الله، فيقول فى هذا التقديم: إن المؤمنين بالعلم وبالتطور وبالسنن الفنية" فرقوا بين العرض الفنى الأدبى، وبين العرض التاريخى. والأول هو منهج القرآن فى قصصه"[٢]. ثم تلاه محمد أحمد خلف الله فى كتابه هذا: "الفن القصصى فى القرآن الكريم" يقول فيه: إن التاريخ ليس من مقاصد القرآن، وإن التمسك به بمقياس الصدق التاريخى فى القصص القرآنى، خطر أى خطر على النبى عليه السلام وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر، كما كفروا من قبل بالتوراة"[٣]. كما نرى بعدها المكانى، وقد بدأت من هناك من الغرب وامتدت حتى وصلت إلى هؤلاء العلمانيين، الذين يرددون بلا وعى كل ما أرجف به الملاحدة والمستشرقون هناك، فنجد هذا الإدعاء- بأن التوراة والإنجيل- اصل للقرآن فى القصص بل وفى غيرها نراه عند جولد تسهر[٤] ومرجليوث[٥]

---

* سبق الرد عليه فى هذه المسألة، ولكنى أردت أن أكشف هنا عن مصادره ومرجعيته فى هذه الترهات، التى يأتها بها..

١- انظر: فى الشعر الجاهلى تأليف الدكتور/ طه حسين ص٢٦.

٢- انظر: مقدمة الفن القصصى فى القرآن الكريم تأليف الدكتور/ محمد أحمد خلف الله (مكتبة الأنجلو المصرية- ط ثالثة سنة ١٩٦٥).

٣- الفن القصصى لخلف الله ص ٤٢.

٤- انظر مذاهب التفسير الإسلامى تأليف: جولد تسهر ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار (دار إقرأ- بدون) ص ١٠.

٥- انظر: القرآن الكريم رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم تأليف الدكتور/ صلاح الدين بسيونى رسلان (دار الثقافة للنشر سنة ١٩٨١) ص ١٤٠ وما بعدها.

وغيرهما. كما نجده فى الموسوعة البريطانية[١] وغيرها. ولذلك لا نتوقف هنا أكثر من ذلك راجين من الله- أن نجد الوقت- لننقض هذه الترهات على أصحابها الذين قالوها دفاعا عن كتاب ربنا.

١- قضايا قرآنية فى الموسوعة البريطانية للدكتور/ فضل حسن عباس (دار البشير- بيروت- ط ثانية سنة ١٩٨٩) ص٣٢ وما بعدها.

المبحث السادس

جهود العلماء المسلمين فى الرد على أصحاب التيارات المنحرفة، والاتجاهات الفاسدة

وكأنى بالإمام الشاطبى (ت: ٧٩٠هـ) يعيش بيننا الآن، ويرى صنيع هذه الفرقة الضالة المارقة، فينزل إليهم من قول تلال الزمان البعيد؛ لينازلهم ويخاصمهم فى كتاب ربه. فيقول: إن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين، إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، عامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر ببينها إلى ما سوى ذلك من مناحيها.. وما مثلها إلا مثل الإنسان الصحيح السوى، فكما أن الإنسان لا يكون إنسانا حتى يستنطق، فلا ينطق باليد وحدها، ولا بالرجل وحدها، ولا بالرأس وحده، ولا باللسان وحده، بل يحتمله التى سمى بها إنسانا. كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها.. فكأن العضو الواحد لا يعطى فى مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقيا.. إلى أن يقول: فإن هذا المسلك رمى فى عماية، واتباع للهوى فى الدليل. وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد، فإذا قيد صار واضحا، كما أن إطلاق المقيد رأى فى ذلك المقيد معارض للنص من غير دليل[١].. ويقول: ولا يمكن أن تعارض الفروع الجزئية الأصول الكلية؛ لأن الفروع الجزئية إن لم تقتض عملا فهى فى محل التوقف، وإن اقتضت عملا فالرجوع إلى الأصول هو الصراط المستقيم، ويتناول الجزئيات حتى إلى الكليات، فمن عكس الأمر حاول شططا، ودخل فى حكم الذم[٢]. ويحذر الإمام الشاطبى من مخاضة لجة تفسير كلام الله وكلام رسوله- صلى الله عليه وسلم من غير الدراية الواسعة بعلم العربية حتى يفهم عن الله ورسوله، فيقول: ومنها تخرصهم على الكلام فى القرآن والسنة العربيين مع العرو عن علم العربية، الذى يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين فى العلم؛ وإنما دخلوا فى ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك.. وعن عمر بن الخطاب أنه قال: إنما هذا القرآن كلام فضعوه مواضعه، ولا تتبعوا به

١- أنظر: الاعتصام للإمام/ أبى اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الشاطبى الغرناطى (مكتبة: أنس بن مالك سنة ١٤٠٠هـ) ج١/٢٤٥، ٢٤٦.
٢- المصدر السابق ج١/ ٢٣٩/ ٢٤٠.

أهواءكم" أى فضعوه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك، فإنه خروج عن طريقه المستقيم إلى اتباع الهوى أهـ[١].

ولكن يبقى أن نقول: إن هناك آراء فاسدة وباطلة، لا ينبغى للمسلم أن يأخذ بها، يقول عنها ابن القيم: والرأى الباطل أنواع: أحدها: الرأى المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيابه ولا القضاء. النوع الثانى: هو الكلام فى الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير فى معرفة النصوص، وفهمها، واستنباط الأحكام منها، فإن من جهلها وقاس برأيه بغير علم، فقد وقع فى الرأى المذموم الباطل.

والنوع الثالث: الرأى المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة. النوع الرابع: الرأى الذى أحدثت به البدع، وغيرت به السنن، وعم به البلاء، وتربى عليه الصغير وهرم فيه الكبير، فهذه الأنواع الأربعة من الرأى الذى اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وإخراجه من الدين. النوع الخامس: ما ذكره ابن عبد البر عن جمهور أهل العلم فى هذه الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين- رضى الله عنهم- أنه القول فى أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون"[٢]. وليس معنى هذا أن الإسلام يحجر على الأفكار والعقول أن تعمل وتجتهد، ولكن على أصل من كتاب أو سنة أو إجماع؛ ولذلك يقول الشاطبى: ومعلوم أن هذه الآثار الذامة للرأى لا يمكن أن يكون المقصود بها، ذم الاجتهاد على الأصول فى نازلة لم توجد فى كتاب ولا سنة ولا إجماع، ممن يعرف الأشباه والنظائر، ويفهم معانى الأحكام فيقيس قياس تشبيه وتعليل، قياسا لم يعارضه ما هو أولى منه. فإن هذا ليس فيه تحليل وتحريم ولا العكس، وإنما القياس الهادم للإسلام، ما عارض الكتاب والسنة أو ما عليه سلف الأمة أو معانيها المعتبرة[٣].

١- المصدر السابق ج١/٢٣٧، ٢٣٩.
٢- انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين تأليف: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه. راجعة وقدم له وعلق عليه/ طه عبد الرءوف سعد (الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- بدون) ١/٦٧-٦٩. وراجع: يسر الإسلام وأصول التشريع العام تأليف: السيد محمد رشيد رضا (مطبعة التقدم- القاهرة ١٩٨٤م)، ص٨٦-٨٨.
٣- انظر: الاعتصام للإمام أبى اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الشاطبى وبه تعريف العلامة/ السيد محمد رشيد رضا (مكتبة أنس بن مالك- السعودية- ١٤٠٠هـ) ٢/٢٨٥.

خاتمة البحث

وفى ختام هذا البحث أود أن أنبه على بعض الأمور:

١- إن طائفة العلمانيين ليس لهم منهج علمى مدروس، يصلح أن يكون أساسا فى التعامل مع أى نصوص أخرى فما بالك بالقرآن الكريم.

٢- إن العلمانيين يخادعون ويناورون، وهم بالفعل فى ساحة المعركة يشوهون معالم التراث الإسلامى، وخاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم.

٣- إن أدوات المعركة أو الأسلحة التى يصطنعونها فى هذه المعركة، هى إثارة الشبه القديمة التى ماتت، والحرص على إحياء الآراء الشاذة والضعيفة، والانتصار للفرق الإسلامية الخارجة التى كانت منبوذة فى إبان مجدها، ووفرة فقهائها وعلمائها، كما أنهم يستعملون مناهج علمية اجتماعية ونفسية، وهى مناهج تجريبية مادية لم تنضح بعد ويحاولون تطبيقها على القرآن الكريم فهما وتفسيرا ثم إذاعتها فى الناس.

٤- إننا نملك الحق بما نؤمن به، ونمتلك الحقيقة لأن أسبابها الحقيقية؛ بين أيدينا.

٥- إن الساحة الإسلامية خالية أو شبه خالية لهؤلاء العابثين، أن يعيثوا فسادا فى كل ما نؤمن به ونعمل له، ولكن أين علماء المسلمين؟

٦- إن على علماء المسلمين مسئولية باهظة تجاه كتاب ربهم وسنة نبيهم وسيرته، وسائر ما يتعلق بالتراث الإسلامى فأين هم من هذه المسئولية؟

٧- إن هذا البحث وحده لا يكفى، وغيره من الأبحاث والكتب لا تستطيع وحدها أن تصد هذا الزحف المتكالب، الذى نزع عن وجهه برقع الحياء.

٨- إن للعلمانيين مدارس ومؤسسات وروابط ومع ذلك يجمعهم هدف واحد، وهو زرع الشك والقلق والاضطراب فى نفوس الأغرار من الشباب.

٩- إننا نطالب العلماء والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية أن تعمل جميعا على تحسين صورة المسلم فى الخارج والداخل دون تطرف أو مروق عن الدين، ولن يتحقق هذا إلا إذا تمت مواجهة

هذا الفكر العلمانى المتطرف بالحجة والبرهان، وإلا فإنه هو المسئول الأول فى تحول بعض الشباب إلى التطرف، لأن الدين فطرى فى النفس، والإسلام دين الفطرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٢٩- النقد المنهجى عند العرب ، تأليف الدكتور/ محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
٣٠- تعليق على الرسالة الموضوعة فى آداب البحث تأليف ، أحمد مكى ، مطبعة ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٣٥م .
٣١- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط ، تأليف : أثير الدين أبى عبد الله ابن حيان الأندلسى الغرناطى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط ثانية سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م.
٣٢- معانى القرآن وإعرابه للزجاج أبى إسحاق إبراهيم بن السرى ، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل شلبى ، عالم الكتب ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.
٣٣- الوسيط فى تفسير القرآن المجيد تأليف : أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى تحقيق وتعليق / عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م.
٣٤- زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى بتحقيق / محمد بن عبد الرحمن عبد الله وخرج أحاديثه / السعيد بن بسيونى زغلول (دار الفكر ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م).
٣٥- تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل تأليف محمد جمال الدين القاسمى ، دار الفكر ، بيروت - ط ثانية سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م.
٣٦- مفاتيح الغيب ، تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر ، بيروت ، ط ثالثة سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.
٣٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل تأليف: أبى القاسم جار الله محمود الزمخشرى ، مطبعة : مصطفى البابى الحلبى ، بمصر ، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
٣٨- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ، عالم الكتب ، بيروت .

٣٩- فى ظلال القرآن تأليف : سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الثانية عشرة سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .
٤٠- التبيان فى أقسام القرآن ، تأليف : شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة بدون.
٤١- آداب البحث والمناظرة ، تأليف : محمد الأمين الشنقيطى ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٤٢- تفسير روح البيان ، تأليف : إسماعيل حقى البروسوى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون .
٤٣- جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، دار الحديث ، القاهرة ، سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م.
٤٤- تفسير القرآن العظيم ، مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" تأليف : الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى إبن أبى حاتم ، تحقيق / أسعد محمد الطيب ، مكتبة : نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الرياض ، ط أولى سنة ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م.
٤٥- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابى الأعلام والتكميل ، تأليف : الإمام أبى عبد الله محمد بن على البلنسى ، دراسة وتحقيق / عبد الله عبد الكريم محمد ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
٤٦- التكملة والإتمام لكتاب التعريف والأعلام فيما أبهم من القرآن تأليف: محمد بن على بن خضر الغسانى ابن عساكر ، تحقيق / أسعد محمد الطيب ، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط أولى سنة ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧م.
٤٧- غرر التبيان فى من لم يسم فى القرآن تأليف : بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله ابن جماعة ، دراسة وتحقيق / د/ عبد الجواد خلف " دار قتيبة ، بيروت - ط أولى سنة ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠م.
٤٨- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م .

٤٩- الدر المنثور فى التفسير المأثور للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م .
٥٠- أسباب النزول تأليف جلال الدين السيوطى تحقيق وتعليق / قرنى أبو عميرة " الناشر: مكتبة نصير - القاهرة بدون ".
٥١- مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى تحقيق / إياد خالد الطباع ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ثانية سنة ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م.
٥٢- تفسير النسفى للإمام أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، مطبعة : عيسى البابى الحلبى ، بدون .
٥٣- القرطين لابن مطرف الكنانى أو كتابى مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة، بدون .
٥٤- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للقاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى ، تحقيق / المجلس العلمى تبارودانت ، سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.
٥٥- التفسير البيانى للقرآن الكريم تأليف : الدكتورة / عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ، طرابعة سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م.
٥٦- منهك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل للإمام / أحمد بن إبراهيم الغرناطى ، تحقيق / سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
٥٧ تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ، تأليف : أبى محمد الحسين الفراء البغوى بهامش تفسير الخازن ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، بدون .
٥٨- تفسير جزء تبارك تأليف : المرحوم الشيخ / عبد القادر المغربى، كتاب الشعب ، القاهرة سنة ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩م.
٥٩- نظرات عصرية فى القرآن الكريم تأليف / محمد لطفى جمعة ، عالم الكتب ، القاهرة ، سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩١م.
٦٠- تفسير القرآن العظيم للإمام / عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى ، مطبعة : عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، بدون.

٦١- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى (دار صادر ، بيروت ، بدون) .
٦٢- تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان ، تأليف الإمام/ على بن أحمد بن إبراهيم المهايمى ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ثانية سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
٦٣- من بديع لغة التنزيل تأليف الدكتور/ إبراهيم السامرائى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ثانية سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م.
٦٤- الإعتصام للإمام / أبى إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الشاطبى الغرناطى ، مكتبة : أنس بن مالك ، سنة ١٤٠٠هـ.
٦٥- مذاهب التفسير الإسلامى تاليف : إجنتس جولدتسهر ، ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار، دار إقرأ - بدون .
٦٦- قضايا قرآنية فى الموسوعة البريطانية ، تأليف الدكتور/ فضل حسن عباس ، دار البشير ، بيروت ، ط ثانية ، ١٩٨٩م.
٦٧- الإكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء للإمام أبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى الأندلسى بتحقيق / مصطفى عبد الواحد، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط أولى سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨م.
٦٨- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، تاليف : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ثانية ، بدون.
٦٩- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، جامعه ، السيد محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار ، بمصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٤هـ.
٧٠- حصوننا مهددة من داخلها ، تأليف الدكتور/ محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
٧١- مقدمة ابن خلدون تاليف العلامة : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتحقيق الدكتور/ على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط ثالثة ، بدون .
٧٢- جريدة الأهرام فى أعدادها الصادرة بتاريخ ١٦ يناير سنة ٢٠٠٢م، ٢٣ يناير سنة ٢٠٠٢ م ، ٢٧ مارس ٢٠٠٢ م.
٧٣- الإسلام عقيدة وشريعة تاليف الإمام / محمود شلتون ، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشر ، سنة ١٤١٤هـ = ١٩٨٥م.

٧٤- الفريدة الذهبية فى حكمة بعض الأحكام الشرعية ، تاليف الدكتور/ حسن الكاشف ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، سنة ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.
٧٥- نحو بناء منهج البدائل الإسلامية تاليف : أنور الجندى ، دار الإعتصام ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م.
٧٦- العودة إلى المنافع ، دائرة معارف إسلامية ، تاليف : أنور الجندى ، دار الإعتصام ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤.
٧٧- نظام الأسرة فى الإسلام تأليف : الدكتور/ محمد عجاج الخطيب والدكتور/ عدنان زرزور مع آخرين ، مكتبة الفلاح ، الكويت، ط ثانية، سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م.
٧٨- تأويل مشكل القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه ونشره / السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط ثانية سنة ١٩٣٩ هـ = ١٩٧٣م.
٧٩- الإنتصار للقرآن تصنيف الإمام القاضى أبى بكر ابن الطيب الباقلانى ، تحقيق الدكتور/ محمد عصام القضاة ، دار الفتح للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط أولى سنة ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١م.
٨٠- دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، تاليف الدكتور/ عبد الرحمن بدوى، الدار العالمية للكتب والنشر ، القاهرة، سنة ١٩٩٩.
٨١- التفكير الفلسفى فى الإسلام تأليف الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود، مطبعة دار المعارف، القاهرة ، سنة ١٩٨٤.
٨٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين تأليف : شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية، راجعه وقدم له وعلق عليه / طه عبد الرءوف سعد ، الناشر ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، بدون .
٨٣- يسر الإسلام وأصول التشريع العام تأليف محمد رشيد رضا ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤م.
٨٤- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى ، تأليف الدكتور/ محمد البهى ، دار المعارف ، القاهرة ، ط عاشرة ، سنة ١٩٩١.
٨٥- تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر تأليف الدكتور/ على العمارى (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - العدد : ١٦٩ ، سنة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥م.

٨٦- الإتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها ، تأليف الدكتور/ محمد حسين الذهبى ، الناشر : مكتبة وهبة - ط ثالثة ، سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م.
٨٧- القرآن والمبشرون تأليف : محمد عزة دروزة ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ثالثة ، سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.
٨٨- النص ، السلطة ، الحقيقة ، تأليف الدكتور/ نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافى العربى ، بيروت ، ط أولى سنة ١٩٩٥.
٨٩- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط ثالثة ، بدون.
٩٠- الموسوعة الإسلامية العامة بإشراف الدكتور/ محمود حمدى زقزوق ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م.
٩١- إعجاز القرآن للإمام أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، شرح وتعليق الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الجيل - بيروت سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.
٩٢- تاريخ آداب العرب ، تأليف : مصطفى صادق الرافعى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط ثانية سنة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م.
٩٣- القرآن كلام الله حقيقة ، تاليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن عميرة ، دار الحرم للتراث بالقاهرة ، بدون.
٩٤- الإلحاد فى الغرب ، تأليف الدكتور/ رمسيس عوض ، سينا للنشر، القاهرة ، ط أولى سنة ١٩٩٧م.
٩٥- القرآن الكريم رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم تأليف الدكتور/ صلاح الدين بسيونى رسلان ، (دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤م).
٩٦- قضايا قرآنية فى الموسوعة البريطانية للدكتور/ فضل حسن عباس ، دار البشير ، عمان ١٩٨٧).
٩٧- مدخل إلى علم التفسير تأليف الدكتور/ محمد بلتاجى ، مكتبة الشباب بالقاهرة ، سنة ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م.
٩٨- تأويل مختلف الحديث تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ، بالقاهرة .
٩٩- مشكل الحديث وبيانه ، تأليف الإمام أبى بكر محمد بن الحسن بن فورك ، تحقيق وتعليق الدكتور/ عبد المعطى أمين قلعجى، دار الوعى ، حلب.

١٠٠- المنطق وفلسفة العلوم ، تأليف : بول موى ، ترجمة الدكتور/ فؤاد حسن زكريا ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، سنة ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.
١٠١- أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ، تاليف : أحمد حسن الباقورى ، دار المعارف - ط رابعة .
١٠٢- التفكير واللغة ، تأليف الدكتورة/ جودث جرين ترجمة الدكتور/ عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، دار عالم الكتب ، الرياض، سنة ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.
١٠٣- فن كتابة المسرحية ، تأليف : لاجوس اجرى ، ترجمة : درينى خشبة، مكتبة الطفل ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٠م.
١٠٤- مقارنات الأديان الديانات القديمة ، تاليف / محمد أبو زهوة ، دار الفكر العربى ، سنة ١٩٩١م.
١٠٥- الملل والنحل تأليف أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، تحقيق / محمد سيد كيلانى ، مطبعة : مصطفى البابى الحلبى، القاهرة.
١٠٦- الإتقان فى علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، بدون .
١٠٧- البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ، شرح وتعليق ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، ط أولى سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
١٠٨- الفن القصصى فى القرآن الكريم ، تأليف / محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ثالثة ، ١٩٦٥.
١٠٩- سلطة النص " قراءات فى توظيف النص الدينى " ، تأليف الدكتور/ عبد الهادى عبد الرحمن ، سينا للنشر ، ط ثانية ، سنة ١٩٩٦.
١١٠- الحروب فى اليهودية والنصرانية والإسلام من خلال القرآن الكريم ، للدكتور محمود محمد غطاس.
١١١- المعجم الموسوعى للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل فى العالم تعريب وتصنيف وتقديم الدكتور/ سهيل زكار (دار الكتاب العربى - دمشق - ط أولى سنه ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م)

١١٢- الديانات الوضعية الحية فى الشرقين الأدنى والأقصى تأليف الدكتور/ محمد العريبى (دار الفكر اللبنانى- بيروت - ط أولى سنه ١٩٩٥م).
١١٣- فصول فى أديان الهند تأليف الدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمى (دار البخارى- المدينة المنورة- ط أولى سنه ١٤١٧ هـ- سنه ١٩٩٧م.